VOL : 7 NO: 2

Journal
of Arabic Language Specialized Researches

This study examines the field of grammatical studies and its topic: "The effect of readings in changing the meaning of Surat Yusuf as a model".It aimed to highlight the status of the Holy Qur'an and its impact on Arabic grammar. This article seks to find a situable Methods for evaluating the authentic Arabic linguistics, also to study it without take its right in a proper evaluating, and take into account its privacy. Because it is connected with a group of non-linguistics science that comes to service the authentic Arabic linguistics. This study seeks to figure out the method of building intertextuality in Al-Majati's collection of poems (Equestrian Diwan) and what meanings can intertextuality add to the collection of poems (Diwan)

International Journal of Arabic Language Specialized Researches

All site materials including, without limitation, design, text, graphics, and the selection and arrangement thereof are either the copyright of SIATS with ALL RIGHTS RESERVED. Except as provided below, reproduction of any of the Content is prohibited.

Please visit www.siats.co.uk

آثر القراءات في تغير المعنى سورة يوسف نموذجاً

The effect of readings on changing the meaning of Surat Yusuf as a model

د. أفراح أبو البشر محمد بابكر

Dr. Afrah Abo Albashar Mohamed BABIKER

المملكة العربية السعودية جامعة حائل

afrah.abdul566@gmail.com

1445هـ-2023م

Received 13 | 08 | 2023 – Accepted 11 | 09 | 2023 – Available online 15 | 10 | 2023

Abstract:

This study examines the field of grammatical studies and its topic: "The effect of readings in changing the meaning of Surat Yusuf as a model". It aimed to highlight the status of the Holy Qur'an and its impact on Arabic grammar, and followed the descriptive and analytical approach

The study aimed to:

- Linking the grammatical rules approved by grammarians to the Holy Quran
- The effect of meaning in changing the syntax

The study reached several results, including:

- Most of the readings contained in the opening and breaking
- Changing the reading leads to changing the meaning

المستخلص:

تبحث هذه الدراسة في مجال الدراسات النحوية وموضوعها: "آثر القراءات في تغيير المعنى سورة يوسف نموذجاً" وهدفت إلى إبراز مكانة القرآن الكريم وآثره في النحو العربي واتبعت فيها المنهج الوصفي التحليلي

وهدفت الدراسة إلى:

١. ربط القواعد النحوية التي أقرها النحاة بالقرآن الكريم
٢. آثر المعنى في تغيير الإعراب

وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها:

١. أكثر القراءات الواردة بالفتح والكسر
٢. تغيير القراءة يؤدي إلى تغيير المعنى

الكلمات المفتاحية: آثر، القراءات

المقدمة:

الحمد لله الأكرم الذي علم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي أرسله الله بالهدى رحمة للعالمين وداعيا إلى صراط الله المستقيم

وبعد:

اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم وسر مكنونه العظيم، حفظه الله عز وجل من التغيير والتحريف والذلل، وهي لغة النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى: (لسان الذي يلحدون ......).

وبما أنّ القرآن نزل بلسان عربي مبين فقد جاءت الجملة القرآنية متتبعة للمعنى تصوره بألفاظها وتلقيه في النفس حتى إذا ما استكملتْ الجملة أركانها برز المعنى ظاهراً فيه الأهم ثم المهم.

فالقراءات تعصم الإنسان من الوقوع في الخطأ عند النطق بالكلمات القرآنية، وكذلك تعفنا بكل الطرائق التي يقرأ بها القرء، ومعرفة ما يجوز القراءة به وما لا يجوز، فهي تبين الأوجه التي يجب اتباعها، ولها الكثير من الفوائد، فمنها مثلا تغيير المعنى في الإعراب، فإن تغيير ‘راب كلمة يؤدي إلى تغيير معنى...

أسباب اختيار الموضوع:

١. التعمق في دراسة القرآن الكريم وفهم معانيه واستيعاب مقاصد تركيبه وبراعة نظمه ودقائق أسراره.

٢. يقيني أن للبحوث القرآنية خطرها الكبير بين الدراسات الإنسانية العقلية، ذلك لأنها تتعلق بكتاب الله.

٣. حبي وشغفي للدراسات القرآنية واهتمامي بالدراسات النحوية

مشكلة الدراسة:

إن فهم النص القرآني يحتاج إلى التأمل الدقيق لكي يخرج الشاهد بالصورة المطلوبة

أهداف الدراسة:

١. خدمة النحو والبيان العربي حيث يعطيهما قوة وشمولية ويبنيهما بناءً شامخاً معتمداً على أوثق نص في الوجود وهو القرآن الكريم.

٢. ربط القواعد النحوية التي أقرها النحاة بالقرآن الكريم

٣. خدمة القرآن الكريم ليكون المصدر الأول للباحث والدارس تستنبط منه القواعد النحوية والبلاغية فهو مستودع العربية ومنبع علومها وهو النص المعصوم.

أهمية الدراسة:

١. الكشف عن آثر القرآن الكريم وشموليته، فهو المصدر الأساسي في الاحتجاج.

٢. يستمد البحث أهميته من خلال القرآن الكريم الذي وضع النحو لخدمته.

المبحث الأول: معنى الأثر والقراءات

الأثر لغة:

قال ابن منظور: "الأَثَر بقية الشيء والجمع آثار وأُثور ... والأَثْرُ مصدر قولك أَثَرْتُ الحديث آثُرُه إِذا ذكرته عن غيرك. وأَثَرَ الحديثَ عن القوم يأْثُرُه ويأْثِرُه أَثْرًا وأَثَارَةً وأُثْرَةً: أَنبأَهم بما سبِقُوا فيه من الأَثَر وقيل حدّث به عنهم في آثارهم". (ابن منظور، ١٩٩٣م، لسان العرب ٤:٦، لبنان: دار صادر)

والأثر في الأصل: العلامة والبقية والرواية. (ابن حجر، ١٩٨٤م، النكت على كتاب ابن الصلاح ١:٣٤٠، المملكة العربية السعودية: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية)

وقيل أصل الأثر: ما ظهر مِن مشي الشخص على الأرض. (الإمام السخاوي، ٢٠٠٣م، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي ١:١٢٤، مصر: مكتبة السنة)

الأثر اصطلاحا:

الأثر: له ثلاثة معانٍ: الأول، بمعنى: النتيجة، وهو الحاصل من الشيء، والثاني بمعنى العلامة، والثالث بمعنى الجزء. (الجرجاني، ١٩٨٣م، التعريفات ص:٩، لبنان: دار الكتب العلمية)

الأثر: يطلق على المروي مطلقًا سواء كان عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- أو عن صحابي، وقال الفقهاء الخراسانيون الأثر هو ما يضاف إلى الصحابي موقوفًا عليه" (النووي، ١٩٩٤م، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٢٣:١، مؤسسة قرطبة)

معنى القراءات في اللغة والاصطلاح:

القراءات لغة: جمع قراءة، وهي مصدر قرأ قراءة وقرآنًا بمعنى: تلا تلاوة، وهي في الأصل بمعنى الجمع والضم، تقول: قرأتُ الماءَ في الحوض أي: جمعته فيه، وسمي "القرآن" قرآنًا؛ لأنه يجمع الآيات والسور ويضم بعضها إلى بعض. (البصري، ١٩٦١م، مجاز القرآن ١:١-٣، مصر: مكتبة الخانجى)

واصطلاحًا: عرَّفها القراء بتعاريف متعددة ومختلفة، ولعل تعريف الإمام ابن الجزري لها من أحسن التعاريف جمعًا وشمولًا، فقد عرفها –رحمه الله- بقوله: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة". (ابن الجزري، ١٩٩٩م، منجد المقرئين ومرشد الطالبين ص:٣، دار الكتب العلمية) (الفيروزآبادى، ٢٠٠٥ م، القاموس المحيط، لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع)

وعرفها الشيخ عبد الفتاح القاضي –رحمه الله- بقوله: "هو علم يُعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقًا واختلافًا مع عزو كل وجه لناقله". (القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ص:٥، لبنان: دار الكتاب العربي)

المبحث الثاني: نماذج للقراءات من سورة يوسف

(إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) (سورة يوسف: ٤)

(يا) حرف نداء (أبت) منادى مضاف منصوب وعلامة النصب الفتحة المقدّرة على ما قبل ياء المتكلّم، ونقلت الكسرة- كسرة المناسبة- إلى التاء المبدلة من ياء المتكلّم..

(ياأبت) قرأ أبو جعفر، وابن عامر: (يا أبت) بفتح التاء حيث وقع على تقدير: يا أبتاه، ووقفا (يا أبه) بالهاء الساكنة، ووافقهما على الوقف ابن كثير، ويعقوب، وقرأ الباقون، ومنهم ابن كثير، ويعقوب: بكسر التاء؛ لأن أصله (يا أبه)، والجزم يحرك إلى الكسر. (الحنبلي، ٢٠٠٩ م، فتح الرحمن في تفسير القرآن ٣:٣٩٠، دار النوادر) (الشافعي، ١٩٩٩م، تفسير البغوي ٢:٤٧٥، لبنان: دار إحياء التراث العربي)

واختلف في هذه الكسرة، فقيل: هذه الكسرة هي التي كانت قبل الياء في قولك: يا أبي، قد زحلقت إلى التاء، إذ لا يكون ما قبل تاء التأنيث إلّا مفتوحًا. وقيل: بل كسرت التاء لتدل على الياء المحذوفة. (الهمذاني، ٢٠٠٦ م، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد ٣:٥٤٣، المملكة العربية السعودية: دار الزمان للنشر والتوزيع)

قال الخليل: وإنما تكون هذه التاء في النداء خاصة إذا أضفت إلى نفسك، ولا يجمع بينهما لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه.

فإن قلت: فقد قالوا: يا أبتا، والألف عوض من ياء الإضافة، فكان ينبغي إلا يجوز هذا كما لا يجوز يا أبتي وقد جوزوه، (السيرافي، ١٩٧٤م، شرح أبيات سيبويه ٢:٢١١، مصر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع) قال الشاعر:

تقولُ بنتي قَدْ أنَى أَنَاكا ... يا أَبَتَا عَلَّكَ أو عَساكَا

(المالكي، ١٩٩٢م، الجنى الداني في حروف المعاني ص:٤٤٦،٤٧٠، لبنان: دار الكتب العلمية)

(الموصلي، ٢٠٠٨م، الخصائص ٢:٩٦، لبنان: دار الكتب العلمية)

والشاهد فيه قوله: "يا أبتا" حيث أراد الياء فاستثقلها، فأبدل من الكسرة فتحة، ثم قلبها ألفًا

اختلاف القراءة يؤدي إلى تغيير المعنى فمن قرأ بالكسر فانه نسب إلى نفسه مع الياء لأن ياء الإضافة قد تحذف مع النداء وأما قراءة الفتح فهي إبدال ياء الإضافة ألفاً.

(قالَ يا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (الجزري، النشر في القراءات ٢:٢٩٣، المطبعة التجارية الكبرى)

(يا) حرف نداء (بنيّ) منادى مضاف منصوب وعلامة النصب الفتحة المقدّرة على ما قبل الياء.. و (الياء) مضاف إليه (لا) ناهية جازمة (تقصص) مضارع مجزوم، والفاعل أنت

اختلفت القراءات في هذه الآية: قرأ حفص بفتح اليا، وقرأ الباقون بكسر الياء

قراءة الكسر فتدل تصغير لكلمة "ابن" في نداء العطف والتحبب، وقراءة الفتح حركة تدل على خفة النطق.

(قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ)

(سورة يوسف: ١٠) في" حرف جر، غيابت: اسم مجرور بـ "في".

قرأ أبو علي جعفر ونافع (غيابات الجب) "على" الجمع، وقرأ الباقون "غيابت" الجب على الواحد. (الشافعي، ١٩٩٩م، تفسير البغوي ٢:٤٧٨، لبنان: دار إحياء التراث العربي)

الغيابة: يقول ابن منظور: ووقعوا في غيابة من الأرض أي في منهبط منها. وغيابة كل شيء: قعره، منه، كالجب والوادي وغيرهما؛ تقول: وقعنا في غيبة وغيابة أي هبطة من الأرض؛ وفي التنزيل العزيز: "فِي غَيابَتِ الْجُبِّ". (ابن منظور، ١٩٩٣م، لسان العرب ١:٦٥٥، لبنان: دار صادر)

عندما تغيرت القراءات اختلف المعنى فتغير الإعراب فصارت" غيابات جمع مؤنث سالم.

(قَالُوا يَاأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ) (سورة يوسف: ١١)

(لا) نافية (تأمنّا) مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على النون لمناسبة الإدغام.. و (نا) ضمير مفعول به، والفاعل أنت، وجملة: "لا تأمنّا" في محلّ نصب حال.

أصلها: "تأمننا" بنونين مظهرتين، وقد أجمع القراء العشرة على عدم إظهار النون الأولى، واختلفوا بعد ذلك في كيفية القراءة: (محيسن، ١٩٩٧م، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر ١:١٥٧، لبنان: دار الجيل)

قرأ أبو جعفر بجزم النون، وقرأ الباقون بإشمام

(الجوزي، ٢٠٠١م، زاد المسير في علم التفسير ٤:١٨٦، لبنان: دار الكتاب العربي)

النون الضمة، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، لأن أصله تَأْمَنُنَا بنونين، فأدغمت إحداهما في الأخرى.

(الثعلبي، ٢٠١٥م، تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن ١٤:٥٠٤، المملكة العربية السعودية: دار التفسير)

تأمننا بنونين فالنون الثانية تدل على الجمع لأخوة يوسف، فلما تغيرت القراءة تغير الإعراب، فمن قرأ بإظهار النونين باعتبار أن "تأمنّا" مكونة من "تأمن+ نا"، ومن قرأ لأجل التقاء المثلين مع الإشمام إعلامًا بالأصل.

(أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (سورة يوسف: ١٢)

"يرتع" مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب وفاعله مستتر "ويلعب" مضارع معطوف على "يرتع".

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر "نرتع ونلعب" بالنون أخبر الإخوة عن أنفسهم وحجتهم، وقرأ أهل المدينة والكوفة "يرتع ويلعب" بالياء إخبارا عن يوسف، قرأ نافع وابن كثير "نرتع" بكسر العين أي يرعى ماشيته ويرعى المال كما يرعاه الراعي، وقرأ الباقون "يرتع" بجزم العين أي يأكل يقال رتعت الإبل وأنا أرتعتها إذا تركتها ترعى كيف شاءت. (ابن زنجلة، حجة القراءات ص:٣٥٥-٣٥٦، دار الرسالة)

في هذه الآية تعددت القراءات وكل قراءة أدت إلى تغير الإعراب فمن قرأ بالنون فدل على الخبر، ومن قرأ بالجزم فجعل "نرتع ونعلب مضارع مجزوم في جواب الطلب، فكل قراءة هنا غيرت الإعراب.

(قالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غافِلُونَ) (سورة يوسف: ١٣)

"إنّي" حرف مشبّه بالفعل- ناسخ- والياء ضمير في محلّ نصب اسم إنّ، "اللام" للتوكيد "يحزن" مضارع مرفوع و "النون" للوقاية و "الياء" ضمير في محل نصب مفعول به، وجملة: "إنّي ليحزنني ..." في محلّ نصب مقول القول.

فالقراءتان على لغتين من لغات العرب. وهما معًا تؤكدان شدة ما سيلاقيه يعقوب عليه السلام من الحزن إذا فارق يوسف عليه السلام، وهذه اللغات لم تؤثر على الإعراب.

(وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) (سورة يوسف: ٢٣)

"قال": فعل ماضٍ، وتاء التأنيث لا محل لها من الإعراب، "هيت" اسم فعل أمر وفاعله مستتر "لك" متعلقان بهيت والجملة مقول القول

وقوله: (وقالت هيت لك)، اختلفت القرأة في قراءة ذلك. فقرأته عامة قرأة الكوفة والبصرة: (هيت لك) بفتح، الهاء والتاء، بمعنى: هلم لك، وادن وتقرب، (الطبري، ٢٠٠٠م، تفسير الطبري ٢٥:١٦) كما قال الشاعر لعلي بن أبي طالب رضوان الله عليه: (الأزدي، ١٩٨٧م، جمهرة اللغة ص:٢٥١، ٤٤٠، لبنان: دار العلم للملايين) (الزمخشري، ٢٠٠١م، شرح المفصل ٣٢:٤، لبنان: دار الكتب العلمية) (بن جني، ١٩٩٤م، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ٣٣٧:١)

أبلغ أمير المؤمنين. . . أخا العِراقِ إذا أَتَيْتَا

أنَّ العِراقَ وأَهْلَهُ. . . عُنُق إليكَ فهيْتَ هَيْتا

يعني: تعال وأقرب.

قوله: (هيت لك) اختلف أهل النحو في هذه اللفظة: هل هي عربية أم معربة، فقيل: معربة من القبطية بمعنى هلم لك، قاله السدي. وقيل: من السريانية، قاله ابن عباس والحسن. وقيل: هي من العبرانية وأصلها هيتلخ، أي: تعاله فأعربه القرآن، قاله أبو زيد الأنصاري. وقيل: هل لغة حورانية وقعت إلى أهل الحجاز فتكلموا بها ومعناها تعال، قاله الكسائي والفراء، وهو منقول عن عكرمة. والجمهور على أنها عربية، قال مجاهد: "هي كلمة حث وإقبال، ثم هي في بعض اللغات تتعين فعليتها، وفي بعضها اسميتها، وفي بعضها يجوز الأمران، وستعرف ذلك من القراءات المذكورة فيها:

فقرأ نافع وابن ذكوان" هيت "بكسر الهاء وياء ساكنة وتاء مفتوحة. وقرأ" هيت "بفتح الهاء وياء ساكنة وتاء مضمومة ابن كثير. وقرأ" هئت "بكسر الهاء وهمزة ساكنة وتاء مفتوحة أو مضمومة هشام. وقرأ" هيت "بفتح الهاء وياء ساكنة وتاء مفتوحة الباقون، فهذه خمس قراءات في السبع. (الحلبي، ١٩٩٤م، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٦:٤٦٣، لبنان: دار الكتب العلمية)

وقرأ ابن عباس وأبو الأسود والحسن وابن محيصن بفتح الهاء وياء ساكنة وتاء مكسورة. وحكى النحاس أنه قرئ بكسر الهاء والتاء بينهما ياء ساكنة. وقرأ ابن عباس أيضا" هييت "بضم الهاء وكسر الياء بعدها ياء ساكنة ثم تاء مضمومة بزنة حييت. وقرأ زيد بن علي وابن أبي إسحاق بكسر الهاء وياء ساكنة وتاء مضمومة. فهذه أربع في الشاذ فصارت تسع قراءات. فيتعين كونها اسم فعل في غير قراءة ابن عباس" هييت "بزنة حييت. وفي غير قراءة كسر الهاء سواء كان ذلك بالياء أم بالهمز: فمن فتح التاء بناها على الفتح تخفيفا نحو: أين وكيف، ومن ضمها كابن كثير فتشبيها ب " حيث "، ومن كسر فعلى أصل التقاء الساكنين كجير، وفتح الهاء وكسرها لغتان.

ويتعين فعليتها في قراءة ابن عباس" هييت "بزنة" حييت "فإنها فيها فعل ماض مبني للمفعول مسند لضمير المتكلم من هيأت الشيء، ويحتمل الأمرين في قراءة من كسر الهاء وضم التاء، فيحتمل أن تكون فيه اسم فعل بنيت على الضم كحيث، وأن تكون فعلا مسندا لضمير المتكلم من هاء الرجل يهيء كجاء يجيء وله حينئذ معنيان،

أحدهما: أن يكون بمعنى حسن هيئة.

والثاني: أن يكون بمعنى تهيأ، يقال: هئت، أي: حسنت هيئتي أو تهيأت. وجوز أبو البقاء أن تكون "هئت" هذه من: هاء يهاء، كشاء يشاء. (الحلبي، ١٩٩٤م، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٦:٤٦٤، لبنان: دار الكتب العلمية)

(قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ) (سورة يوسف: ٣٣)

"قال" فعل ماض، والفاعل هو أي يوسف "ربّ" منادى مضاف منصوب وعلامة النصب الفتحة المقدّرة على ما قبل الياء المحذوفة للتخفيف.. و "الياء" المحذوفة مضاف إليه "السجن" مبتدأ مرفوع "أحبّ" خبر مرفوع.

قرأ "يعقوب" "السجن" هو الموضع الاول خاصة بفتح السين. على أنه مصدر، أريد به "الحبس" و "الى" متعلق "بأحب" وليس "أحب" هنا على بابه، لأن نبي الله يوسف عليه السلام لم يحب ما يدعونه اليه قط.

وقرأ الباقون "السجن" بكسر السين، على أن المراد به المكان، واتفق القراء العشر على كسر السين من "السجن" (محيسن، ١٩٨٤م، القراءات وأثرها في علوم العربية ١:٥٥٢، مصر: مكتبة الكليات الأزهرية)

فمن قرأ "السجن" بفتح النون على أن ال " السجن" مصدر، أي: الحبس أحب إلي، و "إلي" متعلق بـ "أحب" وقد تقدم أن الفاعل هنا يجر ب "إلى" والمفعول باللام، ومن قرأ "السجن" بكسر السين ورفع النون على أنه مبتدأ، والخبر "أحب"، وأن "أحب" هنا على وزن أفعل" ولكنها ليست للتفضيل؛ لأنه لم يحب ما يدعونه إليه قط.

(ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ) (سورة يوسف: ٣٥)

ليسجننه فيه ثلاثة أقوال: فمذهب سيبويه أن "ليسجننه" في موضع الفاعل أي ظهر لهم أن يسجنوه.

وقال محمد بن يزيد: هذا غلط لا يكون الفاعل جملة ولكن الفاعل ما دل عليه بدا أي بدا لهم بداء فحذف الفاعل لأن الفعل يدل عليه

والقول الثالث أن معنى "بدا له" في اللغة ظهر له ما لم يكن يعرفه فالمعنى ثم بدا لهم أي لم يكونوا يعرفونه وحذف هذا لأن في الكلام عليه دليلا وحذف أيضا القول أي قالوا ليسجننه، وهذه النون للتوكيد، وكذا الخفيفة يوقف عليها بالألف نحو "وليكونا" ليفرق بينهما، وقال أبو عبيد: يوقف عليها بالألف لأنها أشبهت التنوين في قولك: رأيت رجلا والتقدير فحسبوه. (النَّحَّاس، ٢٠٠٠م، إعراب القرآن ٢:٢٠٣، لبنان: دار الكتب العلمية)

وفي قراءة الحسن: لتسجننه، بالتاء على الخطاب: خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه، أو العزيز وحده على وجه التعظيم حتى حين إلى زمان، كأنها اقترحت أن يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه. (الزمخشري، ١٩٨٦م، تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٢:٤٦٨، لبنان: دار الكتاب العربي)

وقرأ ابن مسعود "عتى" بإبدال حاء "حتى" عيناً وأقرأ بها غيرَه فبلغ ذلك عمرَ بن الخطاب فكتب إليه: "إن هذا القرآن نزل بلغة قريش، فَأَقْرِىء الناسَ بلغتهم". قلت: وإبدال الحاء عيناً لغة هُذَلِيَّة.

(ليسجننه): مفسر للفاعل، أي: ظهر لهم سجنه إذ الجملة لا تكون فاعلاً على المشهور، وجوزه بعضهم مستدلاً بالآية. وقيل: محذوف، أي: بدا لهم رأي ليسجننه. وقال الإمام القصار، الفاعل هو القسم المفهوم من اللام الموطئة له، أي: بدا لهم قسمهم ليسجننه. (الحلبي، ١٩٩٤م، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٦:٤٩٥، لبنان: دار الكتب العلمية)

(ثُمَّ يَأْتِي من بعد ذَلِك عَام فِيهِ يغاث النَّاس وَفِيه يعصرون) (سورة يوسف: ٤٩)

"يعصرون" مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة معطوفة على ما قبلها.

فقرأه بعض قرأة أهل المدينة والبصرة والكوفة: (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ)، بالياء، بمعنى ما وصفت، من قول من قال: عصر الأعناب والأدهان.

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين:"وَفِيهِ تَعْصِرُونَ"، بالتاء. (الطبري، ٢٠٠٠م، تفسير الطبري ١٦:١٣٠)

من قرأ بالياء فقراءته راجعة للناس في قوله: "فيه يغاث الناس"، وأما من قرأ بالتاء فقراءته راجعة للمخاطبين في قوله: "تزرعون".

(وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (سورة يوسف: ٥٦)

"حيث" ظرف مكان متعلق بيتبوأ "يشاء" مضارع وفاعله محذوف والجملة مضاف إليه

اختلف القراء في "حيث يشاء": فقرأ "ابن كثير" "حيث نشاء" بالنون، على أنها نون العظمة لله تعالى، لمناسبة قوله تعالى قبل: وكذلك مكنا ليوسف في الأرض وقوله تعالى بعد: نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين فجرى الكلام كله على نسق واحد.

وقرأ الباقون "حيث يشاء" بالياء التحتية، والفاعل ضمير مستتر تقديره: "هو" يعود على نبي الله "يوسف" عليه السلام، فجرى الكلام على لفظ الغيبة، ودل على ذلك قوله تعالى: يتبوأ منها. (محيسن، ١٩٩٧م، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر ٢:٣٢٩، لبنان: دار الجيل)

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: (وَ كَذٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُ فَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا

حَيْث يَشَاءُ) وذلك كله بمشيئة الله تعالى وأقداره. كما أنّ إيراد القراءة تارة بنسبة المشيئة لله وفعله، تومئ لمعنًى لطيف، وهو أنّ هوى يوسف وتارة أخرى بنسبتها ليوسف وافق مراد الله تعالى، وذلك قمة التقوى والإيمان. هذا على تأويل من جعل الضمير عائدا في القراءة (حَيْث يَشَاءُ) بالياء، أمّا من جعل الضمير في القراءتين عائدًا على يوسف

فإنّ فائدة تنوع القراءة في هذا الموضع هي فائدة بلاغية، حيث جاءت القراءة، على الله

(حَيْث يَشَاءُ) بالياء على الالتفات وما فيه من نظرية للسامع وتفننًا في الأسلوب، والقراءة

(حَيْث نَشاءُ) بالنون جاءت جريًا على السياق. والله تعالى أعلم.

(فَلَمَّا رَجَعُوا إِلى أَبِيهِمْ قالُوا يا أَبانا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنا أَخانا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ) (سورة يوسف: ٦٣)

قرأ حمزة والكسائي "أخانا يكتل" بالياء أي أخونا يكتال قال الفراء من قال " يكتل" بالياء قال يصيبه كيل لنفسه فجعل الفعل له خاصة لأنهم يزدادون بحضوره كيل بعير وحجتهما أنه قرب من الفعل فأسند إليه

قوله (منع منا الكيل) أي لغيبة أخينا فأرسله معنا نكتل ما منعنا لغيبته فإذا كان معنا اكتلنا (ابن زنجلة، حجة القراءات ص:٣٦١، دار الرسالة)

من قرأ بالياء فنسب الكيل لنفسه، وأما من قرأ بالنون فجعل الكيل للجماعة، هنا القراءة غيرت المعنى إلى مفرد ومرة إلى جماعة، وباجمع بين القراءتين يصبح المعنى: إن أرسلت أخانا معنا اكتلنا وإلا حُرمنا الكيل.

كما أننا سنحقق فائدة أخرى، وهو أنّ أخانا سيصيبه كيلٌ لنفسه فنزداد بحضوره كيل بعير. والله أعلم.

(فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) (سورة يوسف: ٧٦)

"نرفع" مضارع مرفوع فاعله مستتر «درجات» ظرف منصوب بالكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم "من" موصولية في محل نصب مفعول به والجملة مستأنفة "نشاء" مضارع مرفوع والفاعل مستتر والجملة صلة. (الدعاس، ٢٠٠٤م، إعراب القرآن ٢:٩٩، سوريا: دار المنير ودار الفارابي)

(نرفع درجات من نشاء) بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على إخوته. وقرأ يعقوب: " يرفع " و" يشاء " بالياء فيهما [وإضافة درجات إلى "من" في هذه السورة. والوجه أن الفعل فيهما مسند إلى الله تعالى وقد تقدم ذكره في قوله: (إلا أن يشاء الله) أي: يرفع الله درجات من يشاء.

وقرأ الباقون بالنون فيهما إلا أن الكوفيين قرؤوا: " درجات " بالتنوين، ومن سواهم بالإضافة، أي: نرفع به نحن، والرافع أيضا هو الله تعالى. (الشافعي، ١٩٩٩م، تفسير البغوي ٤:٢٦٢، لبنان: دار إحياء التراث العربي)

من قرأ بالنون في الفعلين "نرفع، نشاء" على جهة التعظيم والفاعل ضمير مستتر تقديره "نحن"، أما من قرأ بالياء في الفعلين "يرفع، ويشاء" على أنه مسند لضمير يعود إلى الله تعالى المتقدم ذكره في قوله: (إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنمته تتم الصالحات، فقد اكتملت هذه الورقة في نظري ولعل من يقرؤها يجد بها الكثير من النقص لأن الكمال لله وحده وأن الناقد بصير، فأتمنى أن تكون قد أوفت بعض الشي.

وبما أنّ القرآن نزل بلسان عربي مبين فقد جاءت الجملة القرآنية متتبعة للمعنى تصوره بألفاظها وتلقيه في النفس حتى إذا ما استكملتْ الجملة أركانها برز المعنى ظاهراً فيه الأهم ثم المهم.

وتوصلت إلى عدة نتائج منها:

١. تعددت انواع القراءات في السورة
٢. أكثر القراءات الواردة بالفتح والكسر
٣. تغيير القراءة يؤدي إلى تغيير المعنى
٤. جاءت في بعض الآيات عدت قراءات فكانت كل قراءة مؤدية إلى معنى معين.

التوصيات:

١. أوصي الباحثين في التعمق في مجال الدراسات القرآنية لأنها القرآن أساس العربية
٢. سورة يوسف غنية بالجوانب النحوية المهم لذلك أوصي بدراستها في جوانب اخرى

قائمة المراجع:

١. الأشباه والنظائر في النحو، تأليف جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م.

٢. إعراب القرآن للدعاس، أحمد عبيد الدعاس– أحمد محمد حميدان – إسماعيل محمود القاسم، دار المنير ودار الفارابي – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ

٣. إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ

٤. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان

٥. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

٦. تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ

٧. تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (المتوفى: ٤٢٧ هـ)، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه، تحقيق: عدد من الباحثين (٢١) مثبت أسماؤهم بالمقدمة (صـ ١٥)، أصل الكتاب: رسائل جامعية (غالبها ماجستير) لعدد من الباحثين، دار التفسير، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

٨. تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ

٩. تفسير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

١٠. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م

١١. الجنى الداني في حروف المعاني: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي، تحقيق: د فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م

١٢. حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ)، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، دار الرسالة

١٣. خزانة الأدب ولب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي –القاهرة، ط٤،١٤١٨هـ- ١٩٩٧م

١٤. الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

١٥. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/ الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م

١٦. ديوان رؤبة بن العجاج وعلى أبيات مفردات منسوبة إليه اعتنى بتصحيحه وترتيبه: وليم بن الورد البروسيّ، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع- الكويت

١٧. رصف المباني في شرح حروف المعاني: أحمد بن عبد النور المالقي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية- دمشق، ١٣٩٤هـ.

١٨. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

١٩. سرّ صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولي ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م

٢٠. شرح أبيات سيبويه: يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو محمد السيرافي، تحقيق: الدكتور محمد علي الريح هاشم، راجعه: طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

٢١. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م

٢٢. شرح المفصل للزمخشري: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

٢٣. شرح شواهد المغني: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، وقف على طبعه وعلق حواشيه: أحمد ظافر كوجان، مذيل وتعليقات: الشيخ محمد محمود ابن التلاميد التركزي الشنقيطي، لجنة التراث العربي، الطبعة: بدون، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م

٢٤. فتح الرحمن في تفسير القرآن، جير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: ٩٢٧ هـ)، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، دار النوادر (إصدَارات وزارة الأوقاف والشُؤُون الإسلامِيّة - إدَارَةُ الشُؤُونِ الإِسلاَمِيّةِ)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

٢٥. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، المحقق: علي حسين علي، مكتبة السنة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

٢٦. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٢٧. القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

٢٨. الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذاني (المتوفى: ٦٤٣ هـ)، حقق نصوصه وخرجه وعلق عليه: دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

٢٩. الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بـ "سيبويه"، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل-بيروت، ط١

٣٠. لسان العرب لابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر / بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

٣١. مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: ٢٠٩هـ)، المحقق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى – القاهرة، الطبعة: ١٣٨١ هـ

٣٢. المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف ود. عبد الحليم النجار، ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٣٣. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: للسمين الحلبي، تحقيق: علي محمد معوض وآخرون -دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

٣٤. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام، تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥م

٣٥. المقاصد النحوية في شواهد شروح الألفية: ابن موسى العيني، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت منشورات محمد علي بيضون، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٥ م.

٣٦. المقتضب، المبرد، تحقيق: حسن حمد، مراجعة: إميل يعقوب، ط/ دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠ هـ- ١٩٩٩ م

٣٧. منجد المقرئين ومرشد الطالبين، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م

٣٨. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي، يحيى بن شرف النووي محي الدين أبو زكريا، مؤسسة قرطبة، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ م

٣٩. النشر في القراءات، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ)، المحقق: علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ)، المطبعة التجارية الكبرى

٤٠. النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

٤١. الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، دار الجيل – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٤٢. همع الهوامع على شرح الجوامع: عبد الرحمن أبي بكر: جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية- مصر

مفهوم الخدمة في اللسانيات العربية الأصيلة؛ علم المنطق نموذجا

The Concept of Service in the Authentic Arabic Linguistics; The Logic Science as a Model

د. إبراهيم عيشي
Dr. Ibrahim Aichi
جامعة محمد الأول، وجدة
aichibrahimbrahim@gmail.com

1445هـ-2023م

Received 20|08|2023 – Accepted 18|09|2023 – Available online 15|10|2023

Abstract:

This article seeks to find a suitable method for evaluating the authentic Arabic linguistics, also to study it without take its right in a proper evaluating, and take into account its privacy. Because it is connected with a group of non-linguistics science that comes to service the authentic Arabic linguistics. We chose the logic science because it is an adjunct science par excellence. In addition its service did not accompany the authentic Arabic linguistics since the beginning, but it gives him time to growing up then it break into as à servant. The relationship between syntaxes and logic is the clear example; Whether for syllogisms and explanations, or divisions and boundaries.

الملخص:

تسعى هذه المقالة إلى إيجاد كيفيةٍ مناسبةٍ لتقويم اللسانيات العربية الأصيلة، والنظر فيها دون أن تسلبها حقها في تقويم قويم يراعي خصوصيتها؛ من حيث كونها متداخلة مع مجموعة من العلوم غير اللغوية التي جاءت خدمة لها، وقد وقع اختيارنا منها على علم المنطق باعتباره علما مساعدا بامتياز، غير أن خدمته هذه لم تأت مصاحبة للسانيات العربية الأصيلة في مهدها، وإنما أعطاها فسحة النشأة والتكوين ثم اقتحمها خادما، ولعل علاقة علم النحو بالمنطق أوضح مثال على ذلك؛ سواء على مستوى الأقيسة والعلل، أم التقسيمات والحدود.

الكلمات المفتاحية: خدمة، المنطق، النحو، علوم مساعدة، لسانيات أصيلة.

المقدمة:

تنبش هذه الورقة قضية من القضايا المعقدة في تاريخ اللسانيات العربية؛ حيث تنطلق من إعادة النظر في مفهوم التراث اللغوي، باعتباره اللبنة الأساس التي تتأسس عليها اللسانيات العربية الأصيلة، فلا تقويم للسانيات العربية الأصيلة إلا إذا استطاع المقوِّم استحضار شرطَ معرفتها، ولا يتأتى له ذلك إلا إذا وقف عند التداخل الحاصل بينها- اللسانيات العربية الأصيلة- وبين غيرها من العلوم المساعدة، سواء أكان هذا التداخل داخليا بين العلوم اللغوية فقط، أم خارجيا بين العلوم اللغوية المحكَمة والعلوم المساعدة، ومتى لم يستطع الناظر في اللسانيات العربية الأصيلة استيفاء هذا الشرط، يكون تقويمه أكثر ضررا من نفعه؛ ولتِبيان هذه العلاقة انطلقنا من علم النحو باعتباره علما عربيا أصيلا تداخل مع علم المنطق بعد نشأته، لتكون هذه العلاقة علاقة خدمة من جهة، ومن جهة ثانية تبرز لنا حجم هذا التأثر ووقته تحديدا.

إن أهم ما ينبغي على الناظر اللساني الأخذ به وقت الاشتغال في اللسانيات العربية الأصيلة، عدمُ اقتحامها دون فقه بآلياتها التي أُنتجت بها، ولا معرفة بالطرائق المتوسَّلة لصياغتها بالكيفية التي جاءت عليها. ولما رأينا غيرنا يتوسل مناهج وافدة وآليات مستوردة وُظفت قبل للنظر في تراثٍ غير تراثنا؛ حيث أعدَّتْ أحكاما جاهزة لا قدرة لها على إعطاء المنقود حقه من النظر، فكيف لها أن تخرج آلية القطيعة المعرفية معه؟ بلهَ إعادة النظر فيما استوردته تمحيصا وتدقيقا، بحثنا -حينها- عن تقويم لا يَسلُب اللسانيات العربية الأصيلة حقها في نَظَرٍ قويم.

ارتأينا أن نوجد تعريفا جديدا للسانيات العربية الأصيلة، ينطلق من مسلمة لا مراء فيها، وهي أنها مُتشكِّلة من علوم لغوية محكَمة وأخرى غير لغوية أو مساعدة، اقتحمت اللسانيات العربية الأصيلة بعد نشأتها الأولى، حتى صارت جزءا ينبغي على الناظر الوقوف عنده كلما همَّ النظر في اللسانيات العربية الأصيلة، وهذا التقسيم بدوره ساعد على تحديد أوجه العلاقة بين العلوم اللغوية المحكَمة والمساعدة، وإظهار جوانب الخدمة التي تقدمها؛ ليتضح من خلال ذلك أن علم النحو التجأ إلى علم المنطق بعد نشأته خدمة له، ولا يمكن حصر هذه الخدمة بين النحو والمنطق فقط، بل يمكن أن تشمل العلوم اللغوية الأصيلة جميعا، غير أننا اخترنا منها علم النحو لأهميته أولا، ولِما أُثير حوله من مزاعم في علاقته بالمنطق اليوناني باعتباره علما مساعدا كما أوضحنا قبل. ولتقريب ذلك أكثر اخترنا توزيع الورقة إلى مبحثين؛ جاء الأول منهما موضحا مفهوم التراث الفكري واللغوي معا، بإسهامه بنظرة مغايرة تماما لما هو سائد بين اللسانيين المحدثين

والمعاصرين معا، مع تبيين المقصود بمفهوم الخدمة بين اللسانيات العربية الأصيلة والعلوم المساعدة، أما المبحث الثاني فقد وقف عند علم المنطق وعلاقته بالعلوم اللغوية المحكَمة، فتناول مسألة علاقة المنطق بعلم النحو العربي، ثم جوانب خدمة المنطق علم النحو العربي.

المبحث الأول: مفهوم التراث الفكري واللغوي.

قبل الخوض في تعريف التراث اللساني العربي يحسن بنا الوقوف عند مفهوم التراث، لما يحتله هذا المفهوم من أهمية في قضايا الفكر عامة، ومن جهة ثانية الالتزام بالتماسك المنهجي الذي يفرض ربط اللسانيات العربية الأصيلة[١] بالتراث الفكري عامة.

المطلب الأول: مفهوم التراث الفكري:

إن تعدد قراءات التراث والنظر فيه بتنوع النظريات والأدوات؛ قديمها وحديثها وما يأتي بعدهما مستقبَلا لا تغير شيئا من واقع التراث، مادام "واحدا لا تعدد فيه، ولو أن الطرق الموصلة إلى هذه الوقائع هي بعدد آحاد المفكرين الذين اشتغلوا به وصفا أو نقدا"[٢] (طه عبد الرحمن، حوارات من أجل المستقبل، ٢٠٠٨م، ص:١٥) وليست حقيقة التراث حقيقة مرتبطة بزمان ولّى وانقضى كما وُصف، وإنما هي حقيقة تسري فينا ومحيطة بنا من كل جانب، وخير دليل على ذلك ما يزيد من أعمال تقصد التراث يوما بعد آخر؛ إذ لو توقفت لجاز القول بانقطاع التراث عن حياتنا، أمّا والحال عكس ذلك، فلا مندوحة من اعتباره ملازما لنا حاضرا ومستقبلا.

إن المجازفة بالخوض في التراث دون طلب وضع تعريف له أشبه –إلى حد كبير– بطلب تقويمه دون معرفته؛ مادام "مُركبا من القضايا الماضية والراهنة والمستقبلية"[٣] (طيب تيزيني، من التراث إلى الثورة: حول نظرية مقترحة في التراث العربي، ١٩٧٦م، ج:١، ص:١٠.) من جهة، ومن جهة أخرى، مادام تحديده لبنة أساسة وشرطا مهما لمعرفته.

وفي السياق نفسه لابد من الإشارة إلى أن مفهوم التراث، لا يأتي البتة بالمعنى المقابل للتجديد؛ ونقصد بذلك أنه ليس كل ما هو تراثي قابل للتجديد، ومحتاج له بالكيفية التي تلغي أو تقطع مع كل ما هو موجود في التراث، فالتراث –

حقا- مسألة متعلقة زمنيا بالماضي، غير أنه على مستوى الواقع مسألة حاضرة معنا وفينا على صُعد ومستويات مختلفة، فإذا كان بإمكاننا إعادة النظر في جانب يسير منه؛ باعتبار ما يتضمنه من مضامين ووسائل ميتة، فإنه من الضروري الأخذ بجانب مهم منه أيضا، بعد تقويمه والنظر فيه نظرة شمولية متكاملة، تجمع بين النظر في مضامينه ووسائله معا؛ حتى لا يكون "متحفا للأفكار نفخر بها وننظر إليها بإعجاب، ونقف أمامها في انبهار وندعو العالم معنا للمشاهدة والسياحة الفكرية، بل هو نظرية للعمل، وموجه للسلوك، وذخيرة قومية يمكن اكتشافها واستغلالها واستثمارها من أجل إعادة بناء الإنسان"[٤]. (حسن حنفي، التراث والتجديد: موقفنا من التراث القديم، ١٩٨٧م، ص:١١) ومتى لم تستطع القراءات الحديثة والمعاصرة بتعددها وتنوع مشاربها الخوض في التراث العربي بالوجه الذي يراعي مضامينه ووسائل إنتاجه معا، تكون قد أحدثت مذبحة للتراث في الثقافة العربية المعاصرة[٥]، وهو حال أغلب الأعمال الفكرية الحديثة التي قصدت التراث تقويما؛ إذ لم تخرج عن نتيجتين اثنتين:

-الأولى: الإسراع نحو محاولة هدمه بقطع الصلة معه جملة، ثم السقوط في الاستناد إلى تراثٍ غيره؛ لأن الذي "ترك الاهتمام بتراثه الأصلي لا يلزم من ذلك أنه يصير إلى الانقطاع عن كل تراث، بل يلزم منه على العكس من ذلك، أنه سيتجه إلى الاهتمام بتراث غيره، لافتقاره إلى مستند لذاته، ودعوته لا تعدو كونها تستبدل مكان الانشغال بالتراث الأصلي الانشغال بتراث أجنبي."[٦] (حوارات من أجل المستقبل، ص:١٢. -بتصرف-)

-الثانية: القطع مع معظمه بسبب عدم معرفته من كتب، أو ضعف استيعاب العدة المنهجية والأدوات المستوردة لتقويمه؛ وهذا الأمر مما زاد الوضع الفكري العربي تفاقما إلى تفاقمه

المطلب الثاني: مفهوم اللسانيات العربية الأصيلة.

آثرنا البدء بالتراث الفكري العربي عامة، لعلاقة العام بالخاص القائمة بينه وبين التراث اللساني؛ مادامت الدراسات اللغوية عامة عنصرا أساسا في صياغة التراث المعرفي والفكري للحضارة الإسلامية والعربية أيضا. غير أن الملفت للنظر أن البحث عن تعريف للسانيات العربية الأصيلة بحثٌ عن شيء يصعب إدراكه أو تحققه[٧]، إذ لم نلف تعريفا واحدا يقصدها في مجموعها، فاستقر عندنا أن اللسانيات العربية الأصيلة لا تتشكل من علوم لغوية مُحكَمة فقط -كما سيأتي

بيان ذلك– بل إلى جانب ذلك هناك علوم أخرى تداخلت مع اللسانيات العربية الأصيلة حتى صارت جزءا منها، وساعدت بشكل كبير في تكوّنها، وهذه الحقيقة لا يمكن البتة إنكارها، فباتت خاصية تَميز بها التراث عامة، وهو ما جعل "المباحث الكلامية تتفاعل مع المباحث اللغوية والبلاغية والفلسفية، كما تتفاعل المباحث المنطقية مع المباحث اللغوية والأصولية، وهكذا."[٨] (طه عبد الرحمان، "تجديد المنهج في تقويم التراث، ط:٢، ص:٩٠) وسوغ لنا الانطلاق في تقسيم اللسانيات العربية الأصيلة قبل تعريفها إلى قسمين[٩] رئيسين:

الأول: العلوم اللغوية المحكَمة.[١٠]: وهي كل العلوم التي تتصل مباشرة باللغة؛ سواء من حيث أصواتها، أم من حيث بنية مفرداتها، أم من حيث تركيبها، ودِلالتها، أم من حيث فقهها[١١] أم من جوانب تتعلق بأصلها وهلم جرا[١٢].

الثاني: العلوم المساعدة[١٣]: وهي كل العلوم التي تداخلت مع العلوم اللغوية المحكَمة خدمةً لها، ولا تتصل مباشرة باللغة، بحيث تكون متعلقة بمجالات أخرى مثل المنطق والفلسفة وأصول الفقه، والعروض، وغيرها[١٤] من العلوم التي يمكن أن نطلق عليها العلوم المساعدة.

وبهذا كله فإن مفهوم اللسانيات العربية الأصيلة في أقرب تعريف له هو مجموعة من المضامين اللغوية المتداخلة ببعضها ومع غيرها من العلوم المساعدة تداخلا محكَما بوسائل وأدوات من داخلها. ولتقريب تصورنا للسانيات العربية عامة يمكن الانطلاق من الشكل الآتي:

الشكل:١

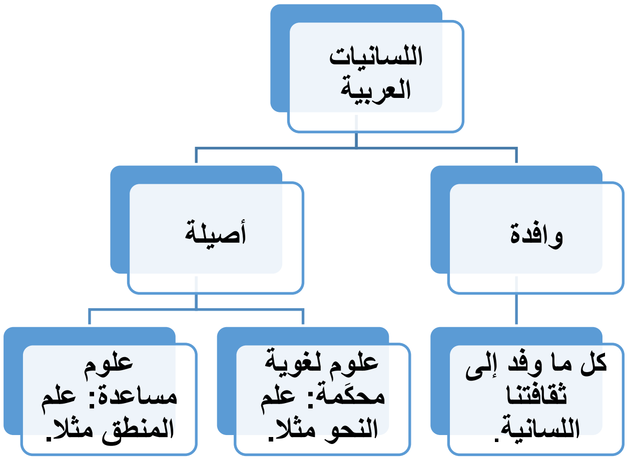

المطلب الثالث: مفهوم الخدمة بين العلوم المساعدة والعلوم اللغوية المحكَمة:

سبق وبينا أن العلوم المساعدة امتزجت بالعلوم اللغوية المحكمة خدمة لها، وهي في أصلها علوم تعود إلى مجالات أخرى، استعانت بها العلوم اللغوية المحكَمة طلبا لتحقيق التكامل فيما بينها، وهذه العلوم-أي المساعدة- في حقيقتها مرتبطة بعلوم مستقلة وبعيدة أيّما بعد عن العلوم اللغوية، وإن بدا التأثر والتأثير بينها وبين العلوم اللغوية المحكمة كبيرا؛ إذ لا يمكن الإحاطة به جميعا، ومن أمثلة ذلك ما يمكن رصده من أسس بنيت عليها العلوم اللغوية المحكمة، وهي في أصلها منتزعة من غيرها في مجالات أخرى، والأمر نفسه مع علم الصرف وعلاقته بالعلوم الخادمة أيضا، وما قيل عن النحو والصرف يمكن قوله عن "علم الأصوات" و"المعجم" و"البلاغة" وهلم جرا.

ويمكن توضيح ذلك أكثر بمصطلح "الاستدلال"؛ إذ يلاحظ الناظر في التراث العربي أن هذا المصطلح تنازعَتْه علوم مختلفة، واللغوية منها على وجه التحديد، "فاستعمل المصطلح -الاستدلال- في المنطق وفي أصول الفقه كما استعمل في النحو، ومع أن المقصود به في الفروع الثلاثة هو استعمال المقدمات المؤدية إلى الحكم، نجد فارقا بين هذا الاستعمال في أحد هذه الفروع وبينه في الآخر، فالاستدلال المنطقي استنتاج ينتقل من مقدمة أو مقدمات إلى نتيجة، أما في الاستدلال الفقهي؛ فالمقدمات أو الأدلة ليست قضايا منطقية وإنما هي مصادر للتشريع كالقرآن والسنة وغيرهما، فإذا وازنا بين معنى الاستدلال في النحو وبين معناه في هذين الفرعين أدركنا أن هناك شبها بين الاستدلالين الفقهي والنحوي، وأن هناك بونا في الفهم شاسعا بينهما وبين الاستدلال المنطقي، فالغاية في الاستدلال الفقهي استنباط الحكم الشرعي وهي في النحو الوصول إلى القاعدة أما في المنطق فهي استنتاج قضية عن قضايا أخرى."[١٥] (تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ٢٠٠٦م، ج١- ص:٤٤٢-٤٤٣. بتصرف).

يظهر من هذا كله أمران أساسيان:

-أحدهما: يخدم ما نحن بصدده، وهو أن مصطلح "الاستدلال" وُظف في علم النحو وفي غيره من العلوم اللغوية المحكَمة؛ وأخذ صفة الخدمة والمساعدة لسببين هما:

أ- أن أصل استعمال المصطلح هو المنطق[١٦]؛ أي أنه انطلق من علم المنطق ليخدم علوما أخرى على رأسها العلوم اللغوية المحكَمة.

ب- أن علم المنطق في هذه الحالة تحققت فيه شروط الخدمة، على رأسها التداخل التفاعلي؛[١٧] لذلك نجده قد تمازج واشترك خدمةً مع غيره من العلوم دون عائق يذكر.

-الثاني: أن "الاستدلال المنطقي" يستعمل بمفهوم غير مفهوم "الاستدلال الفقهي"، وأن هذا الأخير أيضا يشق طريقا مخالفا تماما "للاستدلال النحوي"، والأمر نفسه يمكن قوله مع العلوم اللغوية الأخرى، وهو من الأمور التي دفعتنا إلى التمثيل ب "علم المنطق"، واختياره دون غيره من العلوم المساعدة لجعله القاعدة الأساس التي ننطلق منها لتبيين مفهوم الخدمة بين العلوم المساعدة واللغوية المحكَمة.

وهذا لا يعني أن وظيفة الخدمة اختص بها "علم المنطق" دون غيره من علوم أخرى خارج العلوم اللغوية، بل هناك ما شارك علم المنطق في هذه الوظيفة، ومن ذلك على سبيل المثال:

-علم أصول الفقه.

-علم العروض والقافية.

-علم القراءات.

-الفلسفة.

-علم الكلام، وهلم جرا.

ويتضح جانب الخدمة بين اللسانيات العربية الأصيلة وغيرها من العلوم المساعدة، من خلال التداخل القائم بين القسمين سواء أكان داخليا أم خارجيا، ويمكن تبيان ذلك بالشكل الآتي:

الشكل:٢

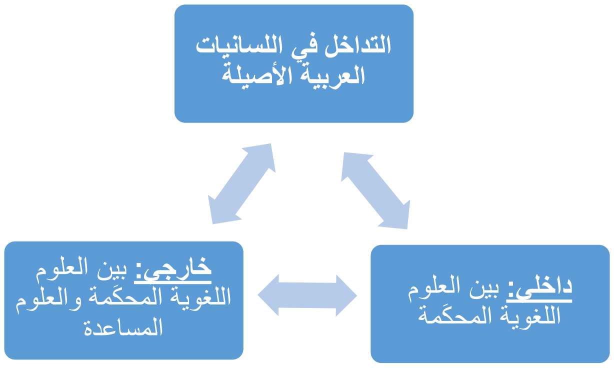

المبحث الثاني: علم المنطق والعلوم اللغوية المحكَمة.

سيطول بنا الأمر لو تتبعنا كل علم مساعد للعلوم اللغوية وتبيُّن خدمته لكل مستوى من المستويات اللغوية المحكَمة على حدة، لذلك عمدنا إلى سرد نزر يسير من العلوم الخادمة ثم الوقوف عند علم المنطق منها وعلاقته بالعلوم المحكَمة، وذلك بالنبش فيها من أجل معرفة حدّ تأثر العلوم اللغوية العربية المحكمة بعلم المنطق، ثم فترة انطلاق هذا التأثر مع هذه العلوم أكان في مهدها أم بعد ذلك؟ بالإضافة إلى كيفية خدمة علم المنطق للعلوم اللغوية العربية المحكمة، مع تبيان مدى تحقق التداخل الخارجي بين علم المنطق وغيره من العلوم اللغوية المحكمة.

لا يخفى على أحد الدور الكبير الذي لعبه علم المنطق في مراحل زمنية مختلفة من تاريخ التراث العربي عامة، ويظهر ذلك جليا في العلوم اللغوية؛ إذ لا تكاد تلفي علما من علومه إلا وتجد المنطق حاضرا فيه، وهذا لا يعني البتة أن النحو العربي وغيره من العلوم اللغوية الأخرى نشأ من حضن المنطق الأرسطي وتأثر بالفكر اليوناني؛ "فالمعروف أن بداية النحو لم تشهد تأثيرا للفكر اليوناني في البيئة العربية إلا ما يروى من جدل في مجال العقيدة في البلاط الأموي بين يحي الدمشقي ومن حضر من فقهاء المسلمين، ولم نسمع أن أحدا من الذين أنشأوا النحو كان يستعمل منطق أرسطو، ولا يعرف لغة اليونان بدءا بعلي بن أبي طالب وانتهاء بالخليل(ت:١٧٠هـ) وسيبويه(ت:١٨٠)، أضف إلى ذلك أن عناصر بنية اللغة العربية تختلف اختلافا بينا عن بنية لغة اليونان، فليس في لغة اليونان إعراب ولا حرية رتبة ولا تثنية ولا تخضع كلماتها لأوزان صرفية مطردة كالعربية، وليس فيها تعدد لأنماط الجمل بين الاسمية والفعلية"[١٨] .(تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج:٢- ص:١١٩. بتصرف)

المطلب الأول: علاقة المنطق بعلم النحو العربي.

أ- آراء اللغويين في هذه العلاقة:

لا جدال في أن تفاعل العلوم وتداخلها وصل ذروته في القرون الأولى ما بعد مرحلة نشأة النحو، وتحديدا في الفترة التي احتك فيها العرب بمعارف الأمم الأخرى وعلومها، حتى استشكل أمر كثير منها واختلط على النّاظر نسبة أصلها، فمنهم قائل: "إن اللغويين العرب القدماء قنعوا بذلك التقسيم الثلاثي من اسم وفعل وحرف، متبعين ذلك بما جرى عليه فلاسفة اليونان وأهل المنطق من جعل أجزاء الكلام ثلاثة سموها الاسم، الكلمة، الأداة"[١٩] (إبراهيم أنيس، من أسرار

العربية، ١٩٧٥م، ص:٢٧٩) متبعا بذلك الرأي القائل: "الأبحاث اللغوية التي نشأت عند العرب في زمن مبكر قد أحدثتها المقولات النحوية المنطقية الموجودة في كتاب "باري أرمينياس" وذلك مع ما وقع من تأثير الرواقية في هذا النشوء ومن ثم ظهر القول بانقسام الكلام إلى الأقسام الثلاثة"؛[٢٠]. (دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ١٩٨١م، ص:٥٦.) وهو ما يؤكد "أن المنطق اليوناني صلته بالنحو العربي مقررة"[٢١]، (شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص:١٢٥) وهذه الصلة لا يمكن لأحد إنكارها أبدا، إلا أنه يمكن من جهة أخرى النظر فيها من حيث الفترة الزمنية التي ظهر علم المنطق في الثقافة العربية.

وفي مقابل ما ذُكر نجد من اللغويين عامة، من ينفي عن النحو صلته بالمنطق في مراحله الأولى التي نشأ فيها؛ إذ "لم نسمع أحدا من الذين أنشأوا النحو كان يستعمل منطق أرسطو ولا يعرف لغة اليونان بدءا بعلي بن أبي طالب وانتهاء بالخليل وسيبويه"[٢٢] (مقالات في اللغة والأدب ج:٢، ص:١١٩). لكون هؤلاء المؤسسين ومن قبلهم لم يتعرفوا على المنطق الأرسطي إلا بعد ظهور ترجمته في أواخر القرن الهجري الثالث وبداية الرابع منه؛ ومعنى ذلك أن المؤسسين لم تكن لهم دراية باليونانية أبدا، "وأضف إلى ذلك أن عناصر بنية اللغة العربية تختلف اختلافا بينا عن بنية لغة اليونان، فليس في لغة اليونان إعراب ولا حرية رتبة ولا تثنية ولا تخضع كلماتها لأوزان صرفية مطردة، كالعربية وليس فيها تعدد لأنماط الجمل بين الاسمية والفعلية"[٢٣] (المرجع نفسه والصفحة نفسها). كما أن الاستدلال المنطقي مقارنة بالاستدلال النحوي لا صلة لأحدهما بالآخر، وقد بينا ذلك قبلُ.

يبدو من خلال الاتجاهين أن الأول منهما يبني رأيه على ما وُجد من تشابه وتقارب بين كل من أقسام الكلم الثلاثي في النحو العربي والقسمة المنطقية الأرسطية، غير أن هذا الاتجاه مُدرك جيدا أن هذه الحجة لا يمكن أن تشكل قاعدة أساسة بإمكانها أن تنسف أصالة النحو العربي.

ب- أصالة علم النحو العربي:

لا ينكر عاقل أن هناك بونا شاسعا بين علم النحو العربي والمنطق اليوناني؛ حيث تتوافر مجموعة من الأسباب التي تجعل كُلاًّ منهما يتمايز بخصائص تخصه عن الآخر، ولعل أهم هذه الأسباب:

-الأول: أن النحو العربي جاء نتيجة الاهتمام بالنص القرآني، "لأن المتخصصين لم يستطيعوا إغفال كون النحو العربي أكثر تجريبية من النحو الإغريقي، وأكثر ارتباطا بالاعتبارات الأنطولوجية الدينية، إذ لم يشتغل الخليل وسيبويه وكل الجيل

اللاحق كفلاسفة، ولكن كقراء للقرآن، ومحللين لما يمكن أن يسمى في اللغة بالمنهج التعليمي".[٢٤] (رشيد بلحبيب، الأرخبيل: نصوص لغوية مختارة، ٢٠٠٩م، ص:٧٨)

-الثاني: طبيعة اللغة تختلف جذريا عن لغة اليونان وهذا السبب يمكن تناوله من جهتين:

-عدم دراية مؤسسي النحو العربي باللغة اليونانية؛ بدءا من علي بن أبي طالب-رضي الله عنه- مرورا بأبي الأسود الدؤلي ثم وصولا عند الخليل وسيبويه، "أما النحو فقد ظل مستقلا كليا. فقد ظهرت المراكز اللغوية العربية الأولى -منذ القرن الثاني للإسلام- في البصرة، وبعد فترة قصيرة في الكوفة، واعتبر أبو الأسود الدؤلي (المتوفى سنة٦٨٨م أو ٧١٨م) مؤسسا للنحو العربي"[٢٥] (نفسه، ص:٧٤).

-بنية اللغة العربية لا تتفق مع نظيرتها اليونانية من زوايا كثيرة؛ من ذلك عدم وجود إعراب في اليونانية ولا حرية رتبة، ولا تثنية وهلم جرا. وأضف إلى ذلك أمرا آخر نبهت إليه "جوليا كريستيفا" وهو أن النحاة العرب "لم يكن لديهم تصورات للموضوع والمحمول. في الجملة الاسمية يشيرون إلى ما يقابل الموضوع عندنا من خلال مصطلح المبتدأ -الذي نبتدئ به- وفي الجملة الفعلية من خلال مصطلح فاعل. كما نشير في هذا السياق إلى أن مصطلح "الموضوع" ما زال غائبا عن المصطلحية النحوية العربية إلى اليوم."[٢٦] (نفسه، ص:٧٧).

وفي غياب تصور للموضوع والمحمول -في نظر كريستيفا- تخلص إلى أن ذلك "واحد من المظاهر العديدة التي تطبع نوعية النحو العربي، الذي ظل بعيدا عن المنطق الأرسطي، ولم يرد أن يخضع تحليل اللغة لهذه المقولات بل ظل وثيق الصلة بالنظريات الخاصة بالإسلام".[٢٧] (نفسه).

وإذا كانت بنية اللغة العربية تختلف اختلافا بائنا عن اليونانية؛ فالنحو فيهما مختلف أيضا، بل إنه مختلف بين اللغات كلها تقريبا، في حين أن علم المنطق عام بين اللغات؛ أي أنه مشترك بينها جميعا دون استثناء.

-الثالث: ما جاء به "الزجاجي" (ت٣٣٧هـ) من تمييز بين التصور الفلسفي من جهة، وبين الاصطلاح النحوي من جهة أخرى، مع العلم أن هذا التمييز بمثابة شهادة حية، مادام أنه قد عاش في عصر قريب جدا من عصر التدوين النحوي، مع اهتمامه بالحدود كثيرا، ونبسط من نصوص إيضاحه قوله: "الاسم في كلام العرب ما كان فاعلا أو مفعولا أو واقعا في حيز الفاعل والمفعول به هذا الحد داخل في مقاييس النحو وأوضاعه، وليس يخرج عنه اسم البتة، وإنما قلنا في كلام العرب لأنا له نقصد، وعليه نتكلم، ولأن المنطقيين وبعض النحويين حدوه حدا خارج النحو فقالوا: الاسم

صوت موضوع دال باتفاق على معنى غير مقترن بزمان. وليس هذا من ألفاظ النحويين ولا أوضاعهم، وإنما هو من كلام المنطقيين. وإن كان قد تعلق به جماعة من النحويين وهو صحيح على أوضاعه المنطقيين ومذهبهم، لأن غرضهم غير غرضنا، ومغزاهم غير مغزانا، وهو عندنا على أوضاع النحو غير صحيح".[٢٨] (أبو إسحاق الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ١٩٧٨م، ص:٤٨).

هذه الأدلة وغيرها مما لم يتسع المقام لبسطها جميعا، تبين أن النحو العربي في نشأته الأولى مجرد تماما من كل شوائب المنطق الأرسطي، وأنه لم يجد مرتعا له في النحو العربي إلا بعد مراحله الأولى من النشأة، وهذا العرض لأدلة الطرفين، لا ينفي عن النحو العربي تأثره بالمنطق الأرسطي في بداية القرن الثالث الهجري مع عصر الترجمة وانفتاح العرب على الأمم الأخرى، مادامت حقيقة تكامل التراث اللغوي تظهر من حيث تداخله مع العلوم والمعارف الأخرى؛ سواء أكان هذا التداخل داخليا بين علومه فقط، أم خارجيا بينه وبين كل ما امتزج معه من علوم أخرى؛ مادامت "العلوم كلها متعلقة بعضها ببعض، ومحتاج بعضها إلى بعض".

المطلب الثاني: جوانب خدمة المنطق علم النحو العربي.

إذا سلمنا بكون النزعة المنطقية لا صلة لها بالنحو العربي في نشأته الأولى، ثم عرفنا بالتحديد الفترة الزمنية التي اقتحم فيها المنطق الأرسطي حرمة النحو العربي، فبإمكاننا الآن تحديد أوجه الخدمة التي كانت بين العلمين.

لا ينكر أحد الخدمة التي قدمها المنطق إلى علم النحو بعد القرن الثالث الهجري كما أوضحنا قبل، وما يزيد ذلك إيضاحا قول أبي حيان:

-قلت لأبي سليمان: إني أجد بين المنطق والنحو مناسبة غالبة ومشابهة قريبة، وعلى ذلك فما الفرق بينهما؟ وهل يتعاونان بالمناسبة، وهل يتفاوتان بالقرب؟

-فقال: النحو منطق عربي، والمنطق نحو عقلي.

-قلت: فهل يعين أحدهما صاحبه؟

-قال: نعم، وأي معونة إذا اجتمع المنطق العقلي والمنطق الحسي؟ فهو غاية الكمال.[٢٩] (ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، ١٩٨٣م، ج:٤، ص:٨٩-٩٠).

يظهر من هذا كله أن "صناعة المنطق تناسب صناعة النحو".٣٠ (أبو حيان التوحيدي، المقابسات، ١٩٨٩م، ص:١٦٩-١٧١، بتصرف) وقد أعانتها في مجموعة غير يسيرة من مباحثها، غير أننا في هذا السياق نقتصر على الجانب المنهجي منها.

يعسر استدعاء المؤلفات اللغوية التراثية بعد فترة الترجمة جميعا-والمتأثرة بالمنطق الأرسطي خاصة- بغرض النظر في منهجها المنطقي المنزّل لسببين:

-الأول: أن المنهج المنطقي الأرسطي لم تعتمده كل المؤلفات النحوية حينها؛ بل منها ما ظل مستمسكا بالطريقة التي ارتضتها مرحلة النشأة، كما أوضحنا قبل.

-الثاني: وهو استحالة استدعاء كل المصنفات المتأثرة بالمنطق الأرسطي بعد القرن الثالث الهجري، وذلك لكثرتها وتشعب مباحثها.

غير أننا خصصنا لهذا الجانب مؤلف "الأصول في النحو"٣١ (أبو نصر الفارابي، إحصاء العلوم، ١٩٩٦م، ص:٢٨) لما يتميز عن غيره -زمنيا ومادة-؛ وكونه "أحسن مؤلفاته-ابن السراج (ت:٣١٦)- وأكبرها، وإليه المرجع عند اضطراب النقل واختلافه، جمع فيه أصول علم العربية وأخذ مسائل سيبويه ورتبها أحسن ترتيب"٣٢ (أبو بكر السراج، الأصول في النحو، ١٩٧٣م، ج:١) غير أن هذا الترتيب المحكم لمسائل النحو لم يأت من فراغ؛ بل كان نتاج ما تلقاه من منطق على يد الفرابي٣٣ (أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ١٩٩٨م، ص: ١٧٠)، لذلك نلمس في "الأصول" تأثرا واضحا بالمنطق اليوناني وذلك من جهات على رأسها:

-التقسيمات والتعريفات: حيث إن ابن السراج أول الأمر اختار تصنيفا ل "الأصول" مغايرا تماما لما ساد قبله، فجاء على وجه لم يسبق إليه قبل، فاستحسنه النحاة واستحسنوا تقسيمه وطريقة تصنيفه، وإن أقروا جميعا بأن مادته كلها انتُزعت من كتاب سيبويه إلا القليل منها٣٤، لذلك بينا قبل أن المادة اللغوية، والنحوية منها على وجه الخصوص عربية أصيلة في معرض حديثنا عن علاقة النحو بالمنطق.

وما يهمنا في هذا السياق، جانب الخدمة التي خدم بها علم المنطق النحوَ، حيث يمكن أن نلمس من خلال مؤلف "الأصول" جانبا من ذلك، يقول "المرزباني" (ت:٣٨٤) "صنف كتابا- أي ابن السراج- في النحو سماه الأصول انتزعه من أبواب كتاب سيبويه، وجعل أصنافه بالتقاسيم على لفظ المنطقيين"٣٥. يظهر من هذا أن جانب التأثر كان حاضرا

في مؤَلف الأصول، لذلك جاء مختلفا عما سبقه من مؤلفات النحاة قبله، ويظهر ذلك أكثر في مقدمة مؤلفه حين أوضح سبيل ترتيب مباحثه وموضوعاته حيث قال: "فقد أعلنت في هذا الكتاب أسرار النحو وجمعته جمعا يحصره، وفصلته تفصيلا يظهره، ورتبت أنواعه وخصوصه في مراتبها"[٣٦]. (جمال الدين القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ١٩٥٢م، ج٣، ص:١٤٩).

أما على مستوى التعريفات فكثيرا ما نصادف في مؤلفه الحد المنطقي الموصل إلى الجوهر، ومن ذلك قوله: "حد المضاف إليه هو أن يصير مع المضاف بمنزلة اسم واحد هو قولك عبد الملك، ولو أفردت عبدا من الملك لم يدل على ما كان عليه عبد الملك"[٣٧] (ابن السراج، "الأصول"، ج١، ص:٦٠) وبما أن تقسيم التعريف بالحد غالبا ما يكون بالجنس فإن المؤلف استمسك به استمساكا واضحا، وظهر حجم التأثر المنطقي الذي لحق مؤلفه الأصول في ذلك خاصة، يقول في تعريف الصفة: "وكل موصوف فإنما ينفصل من غيره بصفة لازمته في وقته"[٣٨] (نفسه، ص:٦٠) ومن ذلك أيضا قوله: "وإنما ينبغي لك أن تبين له عن الجنس الذي أومأت إليه لتفصل ذلك عن جميع ما بحضرتك من الأشياء"[٣٩]. (نفسه، ص: ٣٦٢).

-العلل والأقيسة: تظهر خدمة علم المنطق النحو العربي من خلال مؤلف "الأصول" من جهة القياسات التي وظفها ابن السراج لمعالجة مسائل النحو، فلا تجد مسألة من مسائل مؤلفه إلا والقياس المنطقي حاضر فيها، من ذلك قوله: "وإنما أمتنع الابتداء بالنكرة المحضة لأنه لا فائدة فيه، وما لا فائدة فيه لا معنى للمتكلم به"[٤٠] (نفسه، ص:٤٤٨).

يتضح في المثال المذكور جانب القياس الأرسطي؛ "وهو أهم طريقة يستخدمها المنطق في الاستنباط، ويتألف عادة من أجزاء ثلاثة هي:

المقدمة الكبرى، والمقدمة الصغرى، ثم النتيجة، ومثال ذلك:

-كل إنسان فان.

-سقراط إنسان.

-إذن سقراط فان."[٤١] (نفسه، ص:٥٦).

بالمقارنة مع قول ابن السراج نلاحظ أنه بنى استدلاله على مقدمة كبرى ومقدمة صغرى ثم جاءنا بنتيجة مفادها أن الابتداء بالنكرة المحضة لا فائدة فيه، وهو ما يعكس وجه المنطق اليوناني من زاويتي "قاطيغورياس" أي المقولات العشر

لأرسطو، و"الأنولوطيقا" لكونه يعكس قلب المقدمات ونتائجها"،[٤٢] (علي الوردي، منطق ابن خلدون، ١٩٩٤م، ص:٣٢) فوُجدنا أمام نحو مليء "بأقيسة كثيرة سيقت لها العلل العقلية، وأصبحنا نرى للقوانين قوانين أخرى، وللعلة الأولى عللا أخرى ثواني وثوالث وراءها"[٤٣]

وعلى هذا الأساس يمكن أن نلمس نزرا يسيرا من جانب الخدمة التي استطاع علم المنطق نفع بها علم النحو بعد مراحله الأولى؛ سواء ما تعلق بالحدود والتفريعات، أو ما له علاقة بالاصطلاح والقياسات، فلو أردنا سردها جميعا ما استطعنا أبدا، لذلك اكتفينا بما يعزز جانب التداخل في اللسانيات العربية الأصيلة بين العلوم المساعدة والعلوم اللغوية المحكمة من جهة، ومن جهة أخرى التنبيه على حاجة الناظر اللسانيات العربية الأصيلة إلى علم المنطق القديم، كلما همَّ دراسة مسألة لغوية من هذا التراث بعد القرن الثالث الهجري تحديدا.[٤٤] (عبد الكريم الأسعد، "الوسيط في تاريخ النحو العربي، ١٩٩٢م، ص:٤٠).

الخاتمة:

بهذا الفهم يمكن تقويم اللسانيات العربية الأصيلة تقويما لا يسلبها خصوصيتها وحقيقتها، وكل قراءة لم تراع هذه الجوانب خاصة، تكون محض تجنّ عليه؛ لأن حقيقة هذا التداخل –في اللسانيات العربية الأصيلة مع غيرها من العلوم غير المساعدة– مسلمة لا مراء فيها، وهو ما يساعد على إخراجها من النظرة الضيقة المطردة بين اللسانيين–المحدثين والمعاصرين معا– إلى نظرة أرحب وأقرب إلى كنهها، ولا يتأتى لنا ذلك إلا إذا انطلقنا من:

–النظر في اللسانيات العربية الأصيلة من خلال استحضار تشكلها من علوم مساعدة، وعلوم لغوية محكمة.

– أنَّ تقويمها لا يتم إلا بمراعاة التداخل بين هذه العلوم؛ سواء من حيث التداخل الداخلي بين العلوم اللغوية المحكمة فقط، أم من حيث التداخل الخارجي بين العلوم اللغوية المحكمة مع العلوم المساعدة.

–أن علم النحو العربي في تكونه ونشأته مجرد تماما من كل شوائب المنطق الأرسطي، أما علاقته بعلم المنطق لا تعدو كونها علاقة خدمة ومساعدة استند إليها بعض اللغويين في مراحل زمنية مختلفة بعد مرحلة النشأة.

–أن القطيعة المعرفية مع اللسانيات العربية الأصيلة يستوجب بالضرورة معرفتها معرفة داخلية وخارجية؛ أما المعرفة الأولى ففي علاقتها مع بعضها، والثانية: معرفتها في علاقتها مع غيرها من العلوم الخادمة، ومتى لم يستطع الناظر في التراث اللغوي استيفاء هذا الشرط فلا يؤخذ بنتائجه البتة.

–جعل علاقة المنطق بالنحو–كما أوضحنا– لبنة أولى وأساسة، نفتح من خلالها طريقا أوضح وأقرب إلى تقويم اللسانيات العربية الأصيلة، من خلال إعادة النظر في التقويمات السالفة، وبناء نظرة جديدة تحترم خصوصية اللسانيات العربية الأصيلة المبنية على التداخل الداخلي بين علومها المحكَمة أولا، ثم التداخل الخارجي بين العلوم اللغوية المحكمة والعلوم المساعدة أيضا.

المصادر والمراجع:

١.عمدنا إلى توليد مصطلح "اللسانيات العربية الأصيلة" ليرادف "التراث اللغوي العربي"، على غرار ما اعتمده "شومسكي" في تقريب اللسانيات الديكارتية في مؤلَّفه المشهور "Cartesian Linguistics". انظر:

Noam Chomsky, "Cartesian Linguistics",Cambridge University Press, Third Edition, 2009- Introduction to the third edition.

٢.طه عبد الرحمن، "حوارات من أجل المستقبل"، منشورات الزمن، ط: ٢، ٢٠٠٨م.

٣.طيب تيزيني، "من التراث إلى الثورة: حول نظرية مقترحة في التراث العربي"، دار ابن خلدون، ط:١، ١٩٧٦م.

٤.حسن حنفي، "التراث والتجديد: موقفنا من التراث القديم"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط:٣-١٩٨٧م.

٥.عبارة "مذبحة التراث" اختارها جورج طرابيشي عنوانا لكتابه "مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصرة"، دار الساقي، ط:٣-٢٠١٢م، ولعل ما دفعه إلى هذه التسمية ما يجري في الساحة الفكرية العربية من تمزيق لأوصال التراث وتشويه لمعالمه بعد تمريره في غربال التقدمية الطبقية تارة، والنقاء القومي طورا، والتشريح العلموي تارة ثالثة.

٦.طه عبد الرحمن، "حوارات من أجل المستقبل".

٧.تتبعنا عددا غير يسير من المؤلفات الحديثة والمعاصرة، فلم نلف تعريفا واحدا للتراث اللغوي، لذلك حاولنا الانطلاق من علومه قصد الخروج بتعريف جامع له.

٨.طه عبد الرحمان، "تجديد المنهج في تقويم التراث"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط:٢.

٩.قسمنا اللسانيات العربية الأصيلة إلى علوم محكمة وأخرى مساعدة، والقسمان أقرب ما يكونان إلى تقسيم طه عبد الرحمن وقت تقسيم "المعارف المندرجة في أصول الفقه بين المعارف الخادمة لغيرها"، ولعل طه عبد الرحمن بدوره أخذ المصطلح من الشاطبي؛ حين قسم المعارف المتداخلة مع الأصول، كل المعارف الخادمة لهذا العلم، أو باصطلاحه "المعارف العارية". انظر كتاب "تجديد المنهج في تقويم التراث"، طه عبد الرحمان، ص:٩٤.

١٠.عمدنا إلى توليد مصطلح "علوم محكَمة" لما يختص به من ميزات: أولها: أنه جمع بين صفات لم يُنتج التراث اللغوي إلا بها، وهي: الإحكام والإتقان والانسجام، والثاني: أنه يساعدنا في الحفاظ على الأصول النظرية التكاملية في الاشتغال بالتراث، وثالثها: أنه مصطلح أصيل وليس منقولا.

١١.نقصد بذلك "فقه اللغة"، ويعد مؤلَّف "الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها" لأحمد بن فارس اللغوي، أول مؤلف في الثقافة اللغوية العربية يقتحم مجال فقه اللغة، وهو بذلك في نظرنا من العلوم المحكَمة لا المساعدة في التراث اللغوي، عكس ما يذهب إليه مجموعة غير يسيرة من اللسانيين؛ إذ لا يعدونه علما لغويا محكما، لأن دراسة اللغة ليست في الأساس هدفه الأوحد، بل إن هدفه الحقيقي تحليل النصوص المكتوبة، لذلك قال دو سوسير: "لم تكن اللغة المادة الوحيدة لفقه اللغة، فهدفه كان قبل كل شيء إثبات النصوص وتفسيرها وتحليلها" انظر: . .F.de Saussure Cours de Linguistique Générale, Paris, Payot. P.13 غير أن "فقه اللغة" في اللسانيات العربية الأصيلة يختلف اختلافا كبيرا من حيث مباحثه وأبوابه، وخير مثال على ذلك مؤلف "الصاحبي" لابن فارس؛ إذ تداخلت مباحثه مع علوم لغوية أخرى، انظر صفحة :٢٧١ من "الصاحبي"، تحقيق: عمر فاروق، ط: الأولى، ١٩٩٣م، مكتبة المعارف بيروت.

١٢.لم نستثن من هذه العلوم اللغوية المحكمة علم البلاغة، لأنه في نظرنا يدرج أيضا ضمن العلوم التي تتصل مباشرة باللغة في اللسانيات العربية الأصيلة.

١٣.الناظر في اللسانيات العربية الأصيلة يدرك تماما أنه تشكل من علوم لغوية محكَمة، وأخرى مساعدة؛ وهذه الأخيرة كان لها دور كبير في خروج اللسانيات العربية الأصيلة بالشكل الذي هي عليه، لذلك لا بد للمشتغل في اللسانيات العربية الأصيلة خاصة، أن يراعي هذا الأمر قبل النظر فيها أو دراستها.

١٤.نقتصر في العلوم المساعدة على ما كان له حضور في تراثنا العربي أو بعبارة أوضح ما ساهم في تشكيل اللسانيات العربية الأصيلة خدمة لها، لذلك سيجدنا القارئ نُسقط جملة من العلوم حددها اللسانيون حديثا ولم تكن قائمة بذاتها قبلُ، من ذلك على سبيل المثال: علم النفس.

١٥.تمام حسان، "مقالات في اللغة والأدب"، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى لعالم الكتب: ٢٠٠٦م.

١٦.يُرد مصطلح الاستدلال إلى علم المنطق، ويتميز-إذا كان استدلالا برهانيا- ب "التجريد والتدقيق والترتيب، ومن بسط للقواعد وتمايز للمستويات واستيفاء للشروط واستقصاء للعناصر" انظر مؤلف "في أصول الحوار، وتجديد علم الكلام"، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط:٤، ٢٠١٠.

١٧.أخذنا مصطلح "التفاعل" من شروط التقريب التداولي للتراث الإسلامي، التي حُددت في مؤلف "تجديد المنهج في تقويم التراث" "وهي: التنوع والتفاعل والاستمرار"، انظر صفحة:٢٣٧-٢٣٨-٢٣٩-٢٤٠-٢٤١-٢٤٢، تجد تفصيلا لهذه الشروط المحددة. غير أننا نختلف مع طه عبد الرحمن في كوننا نقف عند حدود الخدمة الحاصلة بين العلوم الخادمة والمحكمة، بالسعي وراء تحديد وجوه الخدمة التي تُقدمها العلوم المساعدة إلى العلوم اللغوية المحكَمة، في حين نجد طه عبد الرحمن يتعدى "وصْل المعرفة المنقولة بباقي المعارف الأصلية" إلى جعل المنقول مأصولا أو أصيلا. انظر صفحة ٢٤٢ من كتاب "تجديد المنهج في تقويم التراث" سبق ذكره.

١٨.تمام حسان، "مقالات في اللغة والأدب".

١٩.إبراهيم أنيس، "من أسرار العربية"، مكتبة الأنجلو مصرية، ط:١٩٧٥م.

٢٠.دي بور، "تاريخ الفلسفة في الإسلام"، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط:٥، ١٩٨١م.

٢١.شوقي ضيف، "الفن ومذاهبه في النثر العربي"، دار المعارف، مصر.

٢٢.تمام حسان، "مقالات في اللغة والأدب".

٢٣.المرجع نفسه والصفحة نفسها.

٢٤.رشيد بلحبيب، "الأرخبيل: نصوص لغوية مختارة"، مطبعة آنفو-برانت، فاس، ٢٠٠٩م، ص:٧٨. والكلام يعود إلى "جوليا كريستيفا" -الكاتبة واللسانية الفرنسية المعروفة- لكون الكتاب في أصله نصوص لمجموعة من اللغويين في العصر الحديث والمعاصر، ترجمها الكاتب بلحبيب رشيد إلى العربية.

٢٥.المرجع نفسه ص:٧٤، فصل كتاب "اللغة: ذلك المجهول" والكتاب في أصله الفرنسي
Le langage, cet inconnu-une initiation a la linguistique, Julia Kristeva) Eddition du seuil P129-" ."

٢٦.نفسه.

٢٧.نفسه.

٢٨.أبو إسحاق الزجاجي، "الإيضاح في علل النحو"، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط:٣، ١٩٧٨م.

٢٩.ابن حزم، "رسائل ابن حزم الأندلسي" تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، ١٩٨٣م.

٣٠.أبو حيان التوحيدي، "المقابسات"، تحقيق محمد توفيق حسين، دار الآداب، بيروت، ط:٢-١٩٨٩م.

٣١.أبو نصر الفارابي، "إحصاء العلوم"، قدم له وشرحه: علي أبو ملحم، دار الهلال، ط:١-١٩٩٦م.

٣٢.أبو بكر السراج، "الأصول في النحو"، ت: عبد الحسين الفتلي، ج:١، مطبعة سليمان الأعظمي، بغداد-١٩٧٣م.

٣٣.أبو البركات الأنباري، "نزهة الألباء في طبقات الأدباء" ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة،١٩٩٨م.

٣٤.تذكر المصادر أن ابن السراج تلقى تعلّم المنطق على يد الفرابي، كما أن الفرابي بدوره تلقى النحو من ابن السراج؛ وهذا الاحتكاك ببعضهما أثر هو الآخر في تأليفهما، خاصة ما يتصل بالجانب اللغوي. انظر: مقدمة كتاب "الحروف"، ت: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٠م، ص:٤٥.

٣٥.بالعودة إلى مؤلف الأصول لابن السراج نلاحظ أنه استطاع أن يتفرد بمجموعة من المسائل والآراء في علم النحو العربي، من ذلك: اعتباره "مع" اسما؛ يدل على ذلك حركة آخرها مع تحرك ما قبلها. ومن ذلك أيضا عده "اسم الإشارة أعرف المعارف عكس غيره من النحاة الذين ذهبوا إلى أن العلم أعرفها. وكذلك "ليس" فهي في نظره حرف وغيرها من الأمثلة الكثيرة التي ذكرها المحقق عبد الحسين الفتلي في مبحث مستقل وسمه ب "المسائل التي تفرد بها ابن السراج". انظر ص:٢٥ من"الأصول".

٣٦.جمال الدين القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م، ج٣.

٣٧.ابن السراج، "الأصول.

٣٨.نفسه.

٣٩.نفسه.

٤٠.نفسه.

٤١.نفسه.

٤٢.علي الوردي، "منطق ابن خلدون"، دار كوفان، لندن، ط:٢، ١٩٩٤م.

٤٣. انظر الفصل الثاني "قاطيغورياس"، والفصل الرابع "أنولوطيقا"، من كتاب: "مفاتيح العلوم" محمد بن أحمد الخوارزمي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان.

٤٤. عبد الكريم الأسعد، "الوسيط في تاريخ النحو العربي"، دار الشواف للنشر والتوزيع، الرياض–١٩٩٢م.

٤٥. نقصد به المنطق الأرسطي لقدمه زمنيا، وقد تميز بميزتين أساسيتين هما: –الأولى أنه منطق صوري؛ أي أن أرسطو ميز بين مادة الأشياء وصورتها، الثانية: أنه منطق يقوم على الاستنباط لا الاستقراء. انظر كتاب: "منطق ابن خلدون" للوردي، ص: ٢٧. مرجع ذُكر قبلُ.

التناص في ديوان الفروسية للمجاطي

Intertextuality in the Diwan of 'Equestrian' by Al-Majati

د. محجوبة البفور
Dr. Mahjouba Al-Bafour
جامعة حائل، المملكة العربية السعودية
joubalbayz@gmail.com

1445هـ-2023م

Received 06 | 09 | 2023 – Accepted 05 | 10 | 2023 – Available online 15 | 10 | 2023

Abstract:

This study seeks to figure out the method of building intertextuality in Al-Majati's collection of poems (Equestrian Diwan) and what meanings can intertextuality add to the collection of poems (Diwan). To address this topic, the article has used what resulted from the efforts of researchers in this regard in addition to the common background knowledge between the poet and the recipient, and the nature of the subject, which carries a militant character that we will try to reveal through our treatment of the manifestations and forms of intertextuality employed by the poet .

Keywords: Intertextuality - Intertextuality manifestations - Texts from Equestrian Diwan.

الملخص:

تسعى هذه الدارسة للكشف عن طريقة بناء التناص في ديوان (الفروسية) للشاعر المجاطي وما يمكن أن يضيفه التناص من معان للديوان، وقد استعان المقال لمعالجة هذا الموضوع بما أفرزته جهود الباحثين في هذا المضمار، إضافة للزاد الفكري المشترك بين الشاعر والمتلقي وطبيعة الموضوع الذي يحمل طابعا نضاليا سنحاول الكشف عنه من خلال تناولنا مظاهر وأشكال التناص التي وظفها الشاعر.

كلمات المفتاح: (التناص) (مظاهر التناص) (نصوص من ديوان الفروسية).

المقدمة:

يعد التناص من المفاهيم النقدية الحديثة التي نجد لها الأثر البارز في جل المصنفات الأدبية العربية القديمة؛ حيث يتقاطع النص الأدبي ومجموعة النصوص المختلفة التي استدعتها طبيعة المادة بطرائق متباينة في الحضور؛ ليكشفها المتلقي ويجد ذاته داخل تفصيلة من تفاصيل هذا المزج سواء كان اقتباسا أو تضمينا أو غيرها من الظواهر المحققة للتناص؛ بوصفه التعالق الحاصل بين أكثر من نص داخل نص واحد بغية إضافة مزيد من التأثير على المتلقي ونقل التجربة بوعي فكري غني؛ حيث أن « أي نص كيفما كان جنسه أو نوعه لا يمكنه إلا أن يدخل في علاقات ما وعلى مستوى ما مع النصوص السابقة أو المعاصرة له ». (يقطين، ١٩٩٢م، الرواية والتراث السردي: من أجل وعي جديد بالتراث ص:١٠، المركز الثقافي) وعليه فداخل كل متن الشعري أو النثري يقطن نصا آخر من خلال عملية تداخل النصوص الشعرية والنصوص غير الشعرية أو العكس؛ وهو ما كان قد أشار له النقاد العرب قديما؛ حيث عدوا التناص بابا واسعا يتطلب الدقة في اختيار المتناصات؛ حيث «لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعي السلامة منه، وفيه أشياء غامضة إلا عن البصير الحاذق بالصناعة وآخر فاضحة لا تخفي عن الجاهل المغفل، وقد أتى الحاتمي في " حيلة المحاضرة" بألقاب محدثة تدبرتها ليس لها محصول إذا حققت : كالاصطراف، والاجتلاب، والانتحال، والاهتدام، والاعارة، والمرافدة، والإستلحاق وكلها قريب من قريب». (ابن الرشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ص:٢٨٠، لبنان: دار الجيل للنشر والتوزيع) وإن يبدو من اختلاف في تسميات تلك المتعلقات بالتناص كما تداولها المحدثين اليوم إلا أن كنها وجوهرها واحد

فكيف تحقق التناص في المتون الحديثة؛ وما هي الآليات التي استعان بها الشعراء لإثراء نصوصهم؛ هو ما سنتطرق له من خلال استقراء نصوص ديوان "الفروسية" لنكشف النقاب عن طبيعة النصوص المختلفة التي استدعاها المقام والتي توسل بها المجاطي في رحلة بناءه واقع تؤطره علاقات متينة مع المتلقي اعتمادا على زاد معرفي مشترك بينهما.

تأصيل المفهوم:

ترتبط حداثة مفهوم التناص بعراقة الأدب عموما؛ إذ أن الأدب عادة ما يستعين بنصوص خارجة عن طبيعة النص ذاته، إيمانا من صاحبه أن الاستشهاد يضفي على القول مصداقيه وتوثيق؛ حيث إن ممارسة هذا المزج والتداخل إنما يستدعيه

المقام وليس مدعاة للزخرفة أو الحشو، مما أكسب هذا التداخل مشروعية الانتماء العفوي للنص الأصلي؛ وهو الانتماء الذي شهد دراسات واهتمام من الباحثين في الساحة النقدية؛ حيث تعود بوادر إنتاج مفهوم التناص لجوليا كريستفيا التي أخذته من مفهوم التصحيف" الذي تطرق له قبلا سوسير؛«وقد استطعنا من خلال مصطلح التصحيف الذي استعمله سوسير بناء خاصية جوهرية لاشتغال اللغة الشعرية عيناها باسم التصحيفية أي امتصاص نصوص متعددة ». (كريستفيا، ٢٠١٠م، علم النص ص:٢١، لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون)؛ فداخل كل فضاء إبداعي تتداخل نصوص أخرى تثير ذاكرة القارئ الذي يرحل بين ثنايا النصوص اعتمادا على زاده المعرفي ومتناصات المبدع؛ «ترحال للنصوص وتداخل النصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة متقاطعة من نصوص أخرى». (بازِّي، ٢٠١٠م، تقابلات النص وبلاغة الخطاب: نحو تأويل تقابلي ص:١١١، لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون)

التناص عند الدراسين والنقاد العرب

يشكل التعانق والتداخل بين النص الأصل والنصوص الأخرى المنطلق والأساس الذي أكده الباحثون العرب لتأسيس التناص؛ سواء كان بقصد أو غير قصدحيث؛ « يتعلق بالصلات التي تربط نصا بآخر وبعلاقات أو التفاعلات الحاصلة بين النصوص، مباشرة أو ضمنا عن قصد أو غير قصد أي نص كيفما كان جنسه أو نوعه إلا أن يدخل في علاقات على مستوى ما مع النصوص السابقة أو المعاصرة له » (يقطين، الرواية والتراث السردي ص:١٨) ؛ إن حضور نصوص مخالفة للانتماء الأصلي للنص إنما تدل على ثراء البعد الثقافي من جهة وعلى وجود تفاعل بين القديم والمعاصر من جهة أخرى؛ حيث يسهم هذا الحضور في تبديد غموض النص تلميحا أو توضيحا، بالاقتباس أو الاستشهاد أو كلاهما؛ حيث «يتضمن نص أدبي ما نصا أو أفكارا أخرى سابقة عليه، عن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب بحيث تندرج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه لتشكيل نص جديد واحد متكامل» (الزغبي، ٢٠٠٠م، التناص نظريا وتطبيقيا ص: ١١، الأردن: عمون للنشر والتوزيع) ؛ وهي التداعيات التي خولت للباحثين القطع بعدم وجود نص منغلق على ذاته؛ فكل النصوص تتسع لتشمل نصوصا أخرى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة يؤولها المتلقي بناء على رصيده المعرفي وتطالعات النص المقروء بغية تفكيك مغلقات وبنايات النص، فهو «ظاهرة نصية ثابتة تجعلنا نسعى لتفكيك النص بهدف معاينة علاقته بغيره، من النصوص التي

حاول تمثلها، واستعابها وتحويلها في بنيته النصية لتصبح جزءا أساسيا في بنيته» (يقطين، ٢٠١٠م، انفتاح النص الروائي النص والسياق ص:٩١، المغرب: المركز الثقافي العربي للنشر) ؛ وعليه فالتناص هو التداول الدلالي الذي شاع به المفهوم في مجال النقد وتناولته الدراسات الحديثة بالتمحيص لتكشف انفتاح النص بمعية التناص على أبعاد فكرية لا متناهية؛ تنمو بها أفكار الأديب في محيط التلاحم المعرفي المشترك بينه وبين المتلقي وبينهما وبين معارف أخرى لتشكل؛ «ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط والتقنين، إذ يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي وسعة معرفته وقدرته على الترجيح». (مفتاح، ١٩٨٦م، تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص ص:١٣٤، لبنان: المركز الثقافي العربي للنشر) فكيف حضر التناص في ديوان المجاطي وكيف أثرى التناص الفروسية التي يسعى لها المجاط، وماهي أنواع التناصات التي استدعاها الشاعر في ديوانه؟

تجليات التناص في ديوان "الفروسية

وظف المجاطي تناصات مختلفة في ديوانه من خلال اختياره بعض عناوين القصائد والأسطر الشعرية التي تتعالق مع التراث العربي عامة؛ ليمتح منه إيحاءات دينية ورمزية ومكانية وتاريخية تجسد رؤيته الشعرية، وتثري عالم القصيدة فنياً وفكرياً مما أسهم في ثراء الديوان وجعله فسيفساء مزخرفة بشتى أنواع التناصات التي تنقل وجع وأمل الشاعر وهو الذي عاش مشغولا بخلاص العالم العربي من كل أنواع الذل والاخفاق.

إن كشف خبايا التناص يفرض علينا الانطلاق من العناوين التي تشكل العتبة الأولى للنص نظرا لما تثيره من قضايا وإشكالات جعلته يحتل الصدارة ضمن اهتمام الباحثين الذين أعدوا له علما خاصا أدخله جيرار جنيت ضمن عتبات النص؛ التي تحمل بين ثناياها ثراء معرفيا يفتح طلاسم متون النصوص ليشكل أحد موازيات النص؛ حيث إن اختيار العنوان يضفي تشويشا أو غموضا أو توضيحا ليصبح جزاء من المتن لكونها يتوسل بإشارات تناصية مختلفة «يمدنا بزاد ثمين لتفكيك النص ودراسته» (مفتاح، ١٩٩٠م، دينامية النص ص:٧٢، لبنان: المركز الثقافي العربي للنشر) ولعله التناص ذاته الذي سنكشفه من خلال ديوان الفروسية بالوقوف على عتبات النص وأهم ما يميز ملامحه.

ملامح العتبات في ديوان المجاطي

تطغى سمة الحزن والألم على جل عناوين "ديوان الفروسية" ولعلها السمة التي استنجد بها بطريقة ضمنية أو صريحة من التراث العربي قرآنا أو شعرا، حيث يحيلنا اختيار المجاطي لعنوان "عودة المرجفين" على السمة التي صاحبة الغائبين من الرحلة؛ حيث يبدو أن العودة كانت عودة بخيبة أمل ويأس ترجمها لفظ (المرجفين)؛ وهي خلاف لما هو متوقع في عرف الغياب الذي يفترض أن يرجع أهله بالغنائم والبطولات؛ فقراءة المتن تؤكد توفيق المجاطي في اختيار العنوان الذي قدم النص بشكل مختزلا عندما قدم العنوان بلفظ يتقاطع والبعد المعرفي المسبق للقارئ وظروف مجتمعه، والمجاطي بهذه الإحالة اللفظية ينتقل من زمن الرحيل بحثا عن تحقيق الفروسية للوصول لزمن الانهزام والسقوط زمن العودة؛ وبين ثنايا هذا الزمن الذي يطبع العنوان تتجاذب الشاعر مشاعر تتزاوج بين الموت والحياة؛ الحلم بالتصالح مع الواقع والرغبة في تشيد أمجاد الماضي ومعانقة حلم انتصار المستقبل؛ ليصبح العنوان دالا مؤثر على المتلقي وناقلا فعليا لمحتوى المتن؛ وهي السمة التي طبعت عناوين قصائد ديوان "الفروسية" إذ «لا تخلو عناوين قصائد " الفروسية" من دلالة وإيحاء إذ تشير إلى طابع الجنائزي الذي يسم السهوب الدلالية للنصوص (الخوف، عودة المرجفين، كبوة الريح، السقوط...) وتحيل هذه العناوين على حالات قصوى من التظي في واقع مرعب، موبوء، ينغل بأوشحة الموت وأكاليل الرجفة» (لشكر، ١٩٩٦م، النسق الشعري في ديوان الفروسية ص:٥٥، مجلة المشكاة، ٢٤) **وهو عنوان يوحي بالاتصال بالتقاليد العربية التي ترى في العائد نصرا وتتشوق أملا في تحقيقه للمبتغى وهو ما يكشف عن هوية الشاعر واتصاله بالأعراف العربية.**

جاء ديوان المجاطي بملامح حزينة متدمرة لوضع وحال الشعوب العربية المسلوبة الإرادة يعكس هذه الانفعالات اختياره لبعض عناوين القصائد؛ كقصيدة "كبوة الريح" التي تطالعنا بشحنة من التذمر يفرضها العنوان الذي استهله بلفظ (الكبوة) التي ارتبطت في الموروث العربي بالجواد ثم بالريح التي تحيل على دلالات تختلف بين الرحمة وبين القوة والغلبة والنصر؛ وهي الغلبة التي يعيشها العالم العربي والرحمة التي يسعى لها الشاعر لهذه الامة؛ فمشاعر الخيبة تشقق دواخل المجاطي والبؤس يزج به في عوالم الاغتراب والانطواء الذي تترجمه أسطر القصيدة من حيث تفاوتها في الطول استنادا للحالة الوجدانية للشاعر.

كما أن اعتماد المجاطي على استدعاء الواقع فرض عليه التوسل بالمعجم العربي للأمثال حتى يضفي مصداقية على قوله؛ فنجده في مكان أخر يصف هذه العودة" التي لم تفارق مخيلته بالمثل القائل "خفي حنين" الذي اتخذه عنوان لقصيدته كناية عن الإخفاق والإحباط؛ « يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة وقال ابن السكيت حنين كان رجلا شديدا ادعى إلى اسد بن هاشم فقال عبد المطلب وعليه خفان أحمر أن فقال ياعم أنا ابن أسد بن هاشم فقال عبد المطلب ولا ثياب ابن هاشم ما أعرف شمائل هاشم فيك فارجع فرع فقالوا رجع حنين بخفيه فصار مثلا».(النيسابوري، ١٣٠٠م، مجمع الأمثال ١:٣٠٨، مؤسسة الطبع والنشر للآستانة) ؛ دلالة مرجعية تضفي على القول مشروعية الصدق وتحتم على القارئ المعرفة المسبقة بتمثلات هذا المثل وإن يبدو أن الأمر تضمين لمثل عربي إلا أن استدعائه كان لازما على الشاعر لأنها أكثر الألفاظ اتساعا للمشاعر التي سيطرت على الشاعر وتعبر عن الهم الذي سيطر عليه وعلى كافة الشعب المغربي.

يشكل الشعر أيضا الزاد المعرفي لكل كاتب أو شاعر بالإضافة إلى أنه مصدرا من مصادر التراث التي تثري النصوص وتضفي عليها مصداقية وقد توسل المجاطي في ديوانه بجملة من النصوص الشعرية العربية سنحاول التناول بعضها من خلال التناص الشعري.

التناص الشعري:

يحضر الشعر العربي في ديوان المجاطي بألفاظ ذات دلالة لفظية وأخرى معنوية لتكشف عن الهم الإبداعي الذي عاناه الشاعر بمعية غيره من الشعراء؛ خاصة وأن الشعر العربي القديم جزء من التراث العربي؛ الذي استمد منه المجاطي قوته ليعبر عن واقع العالم العربي الذي يعيش الهوان والذل بعد انهزام الغائبين الذين أطفأوا سيوفهم ليصروا كضباب؛ حيث يقول: (المجاطي، ديوان الفروسية ص:١٧)

قيل أفرخت حرباءُ

في وجوههم

وقيل باضت

قُبرَه.

وتتقاطع ألفاظ السطور الشعرية أعلاه مع قول الشاعر طرفة بن العبد:

يالك من قبرةٍ بمعمر   خلا لك الجو فبيضي واصفري

قد رفع الفخ فماذا تحذَري   ونقري ما شئتِ أن تُنقري

وفي القول دلالة قوية على هوان الفرسان وذلهم الذي أكده أيضا لفظ (القبره) الذي استعان به المجاطي وهو العصفور الذي أضحى أمام خوفهم واستسلامهم يسكن فوق رؤوسهم ويبيض وهو المعروف بشدة الخوف، والأمر ذاته ينطبق على الحرباء التي عشعشت لتفرخ على ووجوههم دون أدنى حركة منهم وذاك أكبر اخفاق وذل من من يزعمون الفروسية التي يدعو لها المجاطي ويرغب في تحققها لا سيما وهو المشهور بقوميته العربية المتجذرة.تحضر اللمحات التراثية في ديوان "الفروسية" بصفة بارزة؛ حيث استعار المجاطي في بناء رؤيته الشعرية بكلمات وتعابير تشكل مضرب للأمثال المعروفة؛ إذ نجده يقول في قصيدة"كتابة على شاطئ طنجة ": (المجاطي، ديوان الفروسية ص:٦٧)

ربما عاج بنا الفجر على دارة من نهوى قليلا.

فخططنا في نقا الرمل، ولم تحفظ.

يتناسب السطر الأول من قول المجاطي مع ما أورده قبلا أبي نواس في قوله:

عاج الشقي على دار يسائلها   وعجبت أسأل عن خمارة البلد

في حين استلهم تصوير السطر الثاني مما اختزنته ذاكرة التراث من قول أحمد شوقي:

فخططنا في نقا الرمل فلم   تحفظ الريح ولا رمل وعى

فعلى قدر مستوى الهم الذي يعيش دواخل الشاعر جاءت خيبة أمله قوية خاصة وأنه وضع تطلعاته على كف الريح وخطها على الرمل وكلاهما أسوء من حال أمته وحال من كان يرجو فيهم وبهم نصرة البلاد والعباد؛ تتجاذب الشاعر الكثير من المشاعر المسكونة بالمقارنات بين حال الشعوب العربية قديما حيث المجد والعزة، وحالها اليوم حيث الغربة والتشرد الذي بات يضني كيان مجتمع مسلوب الإرادة فاقد للحرية؛ وهو الهم الذي أرق الشاعر وجعله يتوسل ببعض ما جاء في التراث الشعري القديم حتى يحث هم قد ولت ويوقظ عزائم قد ترسبت من وطئت القهر والظلم، حيث يقول: (المجاطي، ديوان الفروسية ص:٤٨)

هذه هتافاتنا

تملأُ الرحبَ

أنا بالثورة عانقت السماء: (المجاطي، ديوان الفروسية ص:١٥)

دعوة لتأجيج الحس النضالي بين صفوف مجتمعه خاصة بين طلاب "ظهر المهراز" بمدينة فاس ومالها من دلالات علمية وتاريخية تجسد عراقة ومجد المدينة وهو بهذا يحقق تناصا دلاليا يذكرنا بالإصرار الذي دعا له أحمد شوقي في نفس الطرح النضالي بقوله المشهور:

وما نيل المطالب بالتمني   ولكن تأخذ الدنيا غلابا

ويعد هذا التناص من وسائل الشاعر في الكشف عن الهم الذي يسكنه تجاه القضية المغربية خاصة والقضايا العربية عامة؛ لينفس عن مواجده ويبث لواعجه؛ ولا يمكن أن يستحضر المجاطي شدة عزمه بالدفاع عن حلم جمعوي دون أن يستحضر عزيمة وحرص المتنبي على طلب المجد والوجاهة؛ حيث يستوحي قوله: (المجاطي، ديوان الفروسية ص:٩٢)

ولم يبق الاك

للخيل والليل

إن حضور هذه الألفاظ مع دلالات النص وانفعال الشاعر هي تصويرا للواقع واتصاله بالخيال وتذكرنا بالمنحى الدلالي الحاضر في شعر المتنبي في قوله:

الخيل والليل والبيداء تعرفني   والسيف والرمح والقرطاس والقلم

حاول المجاطي إعادة تشكيل رؤيا حداثية معاصرة تمس الواقع؛ يربط فيها النسيج النصي بنصوص التراث وملفوطاته بغية إخراج النص من محدودية الأداء والتعبير إلى أفق دلالي يستطيع من خلاله إلباس النصوص وجهات نظر جديدة. ولعها الجدة نفسها التي بحث عنها المجاطي في النصوص القرآنية ليضفي على الفروسية مشروعية دينية تزيد من ولاء وتعلق المتلقي بالقضية الوطنية والعربية.

التناص القرآني

إن وعي المجاطي بدور الوازع الديني الذي يعد إحدى أهم العناصر التي تؤثر في المتلقي وتكسب النص مصداقية جعله يعكف على المتح من القرآن الكريم لاستدعاء بعض آى أو ألفاظ القرآن الكريم لقصائده؛ لنقل حمولة معاناته وكشف تطلعاته؛ حيث يقول في قصيدة "سبتة " (المجاطي، ديوان الفروسية ص:٧٧) «هل همست نسمة،

أن تطوان جاريةٌ

أن مراكشاً تنفش العهنَ

استحضر المجاطي في السطر الثالث من القطعة أعلاه بعض ألفاظ سورة القارعة (٥) التي يقول فيها عز وجل "يوم يكون الناس كالفراش المبثوث، وتكون الجبال كالعهن المنفوش"؛ استدعى وضع تطوان المزرى والذي يشبهه كثيرا حال مراكش التي تعاني الانكسار ذاته هذا التقاطع الدلالي الذي ورد في الآية؛ فرغم قوة وجبروت هذه الأماكن فقد تشوهت معالمها وباتت مع ضعف أهلها صغيرة أمام جبروت المستعمر؛ وقد استمد المجاطي مشهد الهول من سورة القارعة؛ حيث يبدو الناس في ظله صغاراً رغم كثرته(كالفراش المبثوث) مستخفون في حيرة الفراش الذي يتهافت على الهلاك؛ وكلها دلالات على زوال عالم وظهور آخر؛ «فحصل في هذه الآية تهويل شديد... والعهن الصوف وقيل: يختص بالمصبوغ الأحمر، أو ذي الألوان...والمنفوش: المفرق بعض أجزائه عن بعض ليغزل أو تحشى به الحشايا ووجه الشبه تفرق الأجزاء لأن الجبال تندك بالزلازل ونحوها فتتفرق أجزاء» (ابن عاشور، ١٩٨٤م، التحرير والتنوير ٣٠: ٥١٢-٥١٣، تونس: الدار التونسية للنشر)؛ إذا استطاع الشاعر من خلال التناص مع هذه الآية الكريمة أن يعطي لدلالات قصيدته بعدا تواصليا وتفاعليا مع الموروث القرآني بما يعزز بنية القصيدة ويقوي دلالاتها الفنية والجمالية وإحالاتها الثقافية.

التناص اللفظي

تتقاطع بعض ألفاظ الديوان مع ألفاظ من سور قرآنية أخرى؛ حيث إن قوله (كيف فاض الماء على التنور) من قصيدة "عودة المرتجفين" (المجاطي، ديوان الفروسية ص:١٨)؛ فيه إشارة واضحة لتعانقه وقوله تعالى في سورة هود ٤٠: {حتى إذا جاء أمرنا، وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين..."؛ وهي دلالة على عودة الفرسان الذين يشكلون طوق

النجاة لمجتمعهم دون أن ينضج النضال ويفيض النصر على الشعوب العربية؛ « فإن التنور هو الموقد الذي ينضج فيه الخبز فكثرت الأقوال في تفسير التنور ...فمن المفسرين من أبقى التنور على حقيقته، فجعل الفوران الماء من أحد التنانير وأنه علامة جعلها الله لنوح –عليه السلام– وإذ أفار الماء من تنوره علم أن ذلك مبدأ الطوفان فركب الفلك وأركب من معه» (ابن عاشور، ١٩٨٤م، التحرير والتنوير ١٢: ٧٠، تونس: الدار التونسية للنشر)؛ جاء أيضا قول المجاطي (ويا أرضُ بلعي ماءك) من قصيدة السقوط (المجاطي، ديوان الفروسية ص:٦٥) ؛ ليتقاطع مع ماورد في سورة هود٤٤ في قوله تعالى " وقيل يا أرض بلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر"، فالسقوط الذي آل إليه العالم العربي إنما جاء بعد طوفان أغرق الأرض بجبروت المستعمر الذي خاطبه المجاطي بياء النداء المستوحاة من خطابه عز وجل؛ حيث « خطاب الأرض والسماء بطريقة النداء وبالأمر استعارة لتعلق أمر التكوين بكيفيات أفعال في ذاتيهما وانفعالهما بذلك كما يخاطب العاقل بعمل يعمله فيقبله امتثالا وخشية، فالاستعارة هنا في حرف النداء وهي تبعية » (ابن عاشور، ١٩٨٤م، التحرير والتنوير ١٢: ٧٨، تونس: الدار التونسية للنشر)؛ كما استمد الرغبة في الوضوح وكشف ما يختلج جوارحه بقوله: (المجاطي، ديوان الفروسية ص:١٢١)

وأنا أراود كل شاردة

لاسكن

وحصحصت البدائلُ

يتقاطع لفظ حصحص" مع قوله تعالى في سورة يوسف ٥١ " قالت امرأة العزيز لآن حصحص الحق"؛ في حين عرج في مواطن أخرى من ديوانه على ذكر بعض أسماء سور القرآن نظرا لتتماشى مع النص الأصلي؛ فحديثه عن نساء مدينة القصر؛ يستحضر معه سورة (المائدة)؛ «اشتمال هذه السورة على أغراض تشبه ما اشتملت عليه سورة النساء عونا على تبيين إحداهما للأخرى في تلك الأغراض» (ابن عاشور، ١٩٨٤م، التحرير والتنوير ٣٠: ٥١٢–٥١٣، تونس: الدار التونسية للنشر)؛ حيث يقول المجاطي: (المجاطي، ديوان الفروسية ص:٤٧)

أم يقرأ الآن ما يتيسر

من سورة المائده.

يتخذ القرآن الكريم داخل الديوان صورا شتى تتنوع بين اللفظ والمعنى والرمز والإيحاء لتكون مدخلا لتزكية الصورة التي ارتأى المجاطي إيصالها للمتلقي؛ وإلى جانب هذا الترابط الديني يرتبط المجاطي ارتباطا شديدا بالموروث المحلي الشعبي وهو ما جعله يستثمر جملة من التناصات اللغوية المحلية والشعبية لتشكيل بنية ديوانه وانتظام انساقه، لاسيما وأن دعوته جاءت عامة تشمل كافة المغاربة بمختلف مستوياتهم الفكرية والعلمية إضافة أن القضية هي قضية عربية مغربية تستدعي هذا النوع من التناص.

التناص: اللغوي/ المحلي/ الشعبي

يأخذ التشكيل التناصي عند المجاطي سمتا شعبيا وفلكلوريا عميقا، ينجح فيها الشاعر بتجاوز المواضعات النصية لحضور هذه النصوص وتداعياتها لتتماهى مع النص الأصلي؛ حيث استنجد المجاطي في قصيدة "الفروسية" بتسميات شعبية لأسلحة حربية ليثير همم المغاربة ويحثهم على المقاومة كما عهد السلف؛ فجاءت ألفاظ (الشد/ المجدول/ الكمية) (المجاطي، ديوان الفروسية ص:٢٥)؛ مخاطبة للبعد النضالي حيث يشكل (الشد وهو عمامة الفارس/ والكمية وهو خنجر مغربي معقوف/ المجدول حمالة للخنجر) رموز تحيل الذاكرة المغربية على قوة الدفاع وعظمة المجد؛ الهمة ذاتها ألفيناه في استحضاره للفظ (القرس) (المجاطي، ديوان الفروسية ص:٢٥)، الذي استدعاه المجاطي من القاموس الشعبي ليحيل على (مكبس البارودة) وقد اختار الشاعر أن يبقي وفيا لهذا النمط من التناص وأن يدخله بين ثنايا النص ليستنهض الهمم ويجدد الأمل بألفاظ مستقاة من الواقع المعاش.

التناص الزماني والمكاني

يستعين الشاعر أيضا ببعض الأزمنة التي تشكل فارقا دينيا وشاهدا على أحداث تاريخية مستوحاة من النص القرآني، حيث إن الرغبة في خلاص (طنجة) من الاحتضار جعلته يحتمي بالزمن ليطوي حالها اليوم ويتطلع لمستقبل أفضل؛ فنطلق من زمن (اليرموك/ الزلاقة) الذي يشهده على موت كل الأشياء في (طنجة) ليصل لزمن الحلم الذي تتجاوز فيه المدينة عثرتها وتستعيد أمجادها.

يزخر ديوان المجاطي أيضا بعدة إيحاءات مكانية وزمانية تحيل على أمكنة معروفة تاريخيا؛ إذا زاوج في قصيدة "دار لقمان ١٩٧٥" (المجاطي، ديوان الفروسية ص:٣١) بين المكون الزمني والمكاني ليتقاطع هذا العنوان مع رمزية لقمان الذي يعد دالا في القرآن الكريم على الحكمة التي وهبها سبحانه تعالى للقمان حيث؛ «ابتدىء ذكر لقمان بالتنويه بأن آتاه الله الحكمة وأمره بشكر النعمة، وأطيل الكلام في وصايا لقمان وما اشتملت عليه: من التحذير والإشراك» (ابن عاشور، ١٩٨٤م، التحرير والتنوير ١٣٩:٢١، تونس: الدار التونسية للنشر)؛ وهي الدلالة التي ارتأى المجاطي أن يلحقها بـ "الدار البيضاء" التي شهدت أحداثا تاريخية ستبقى راسخة في ذاكرة المغاربة؛ خلدها المعطى الزمني (١٩٧٥) الذي أردفه المجاطي بالعنوان، للتنويه بعظمة الحدث التاريخي الذي أضفى على العنوان مصداقية تتقاطع والمعطيات التاريخية.

تتخلل ديوان المجاطي أماكن تشكل فارقا جغرافيا وتاريخيا في المغرب؛ حيث يطالعنا في قصيدة "ملصقات ظهر المهراز" باستحضار مدينة "فاس" التي تشكل منارة علمية ليعلن انطلاق الثورة منها، فجاء العنوان بلفظ " الملصقات" أولا كناية عن الإعلان عن أمر قد يكون غالبا ثورة لاسيما اذا ربطنا الملصق باللفظ الأخر من العنوان" ظهر المهراز" الذي يشكل الشرارة الفكرية والعلمية لكل طالب علم؛ وقد استعان المجاطي بهذا المكان في أكثر من موضع لأنه يشكل تناصا تاريخيا ودلاليا عند المغاربة؛ حيث تشكل مدينة "فاس" معلمة علمية وإرثا فكريا؛ كما لا تخلو "الرباط" من حمولات دلالية جعلت المجاطي يقتبسها كمعطى مكاني يؤسس لتقنية التناص؛ فكل ولادة جديدة لابد لها من مخاض عسير تنتصر فيه على الوجع والانكسار، وتحقيق ذلك عند الشعب المغربي تتحكم فيه قرارات إدارية وجهتها "الرباط" الذي يعد عاصمة إدارية في عرف المغاربة.

ولا يمكن أن يتذكر المجاطي الألم والحسرة دون البكاء على مآل "طنجة"؛ حيث بات الموت يسكون أزقتها وأروقتها؛ إذ لا شيء غير الظلام يسود ولا حركة غير ترنم بعض السياح في العتمة، لتصبح طنجة أطلال يبكي ويستبكي عليها الشعراء بعد ما كانت رمز الجمال ونبض الحياة وحال طنجة استدعاه المجاطي ليدل على حال المغاربة، يرافق حلم المجاطي باستعادة (طنجة) أمجادها وألقها تذمر وبكاء على مكون مكاني استحضره الشاعر كشاهد يوثق به حال مدن المغرب التي باتت عرضت لنهب والسلب؛ حيث (سبتة) في الضفة الشمالية تعاني بصمت قاتل لأنها تشكل دلالة السلب والحصر؛ فجاء بلفظ (سبتة) بطريقة مباشرة تخاطب قسوة الواقع وتكشف المفارقة بين سبتة في ذاكرة المغاربة وسبتة على حالها اليوم وهو الزاد المعرفي ذاته والاحساس المشترك الذي أسس للتناص داخل القصيدة. والحديث عن

الزمان يحيلنا غالبا على المكان وما مدى ارتباطه بالأحداث التاريخية التي عاشها المغرب واستحضرها المجاطي في ديوان الفروسية من خلال التناص المكاني.

التناص المكاني في ديوان الفروسية

إن الحديث عن المكان يحيلنا لا محال لمدينة (الدار البيضاء) التي تشكل للمجاطي الموطن والانتماء حيث ميلاده وطفولتها وتوجهه؛ وتشكل للمغاربة الدعم والسند بوصفها العاصمة الاقتصادية، وقد عرج المجاطي على استحضارها بشكل حميمي في أكثر من سطر شعري ليخاطب الحس النضالي للمغاربة في طرح مقارنة بين حال (الدار البيضاء) قبل وبعد الذل والانكسار؛ وغير بعيد عن الانتماء المحلي يخاطب المجاطي في ديوانه الحس القومي العربي من خلال قصيدة " القدس" حيث استحضر فيها رمزية "القدس" الذي يشكل رمزا تاريخيا ودينيا باذخا يناشد حميمية مفتقدة وعزيمة موءودة شكلت شرخا مؤلما في جسد الأمة العربية؛ ان اختار الشاعر هذه الألفاظ كعناوين لقصائده إنما كانت رغبة منه لتكريس المكون المكاني في ذهن المتلقي الذي يكرس هزائم الخضوع ويقوي عزائم المستعمر في السيطرة والاستغلال؛ وهي دعوة صريحة منه للتأمل في حال المغرب والأمة العربية، وهو التأمل الذي نجد له بعض الأثار في ديوان الفروسية التي استحضرت المكون الصوفي من خلال بعض التناصات النصية.

التناص الصوفي

انتخب المجاطي بعض ملامح رموز التصوف ليضفي على نصه شحنة تأثيرية، حيث اتخذ من الموت باستعمالها الاصطلاحي دالا باعثا للتغيير؛ فالشاعر يحس بالموت بناء على واقع العالم العربي الذي تغلفه شتى مظاهر الموت والدمار؛ فالحنيين للموت من خلال النضال والتضحية لعتق "القدس" هو حياة جديدة لجيل جديد، فموت الأمة العربية ليس موتا نهائيا بل هو المرحلة التي تسبق البعث والتجديد؛ خصوصا أن بلوغ القدس محفوف بالموت لا محال موت بطعم حياة أخرى؛ فالحياة لا تتولد إلا من رحم الموت؛ وهو ما عبر عنه بالقول: (المجاطي، ديوان الفروسية ص:٥٦)

أيا بابا إلى الله ارتمى

من أين أتيك

وأنتِ الموت، وأنتِ الموت

أنتِ المبتغى.

إذا أن تكرار لفظ "الموت" في السطر الثالث جاء للدلالة على حياة جديدة ستبعثها لفظ "الموت" الأولي الذي هو النضال في وجه المستعمر وهي دعوة صريحة للنضال المفضي للحرية التي يزكيها لفظ "المبتغى" الدال على نقطة الوصول؛ تعد تجربة الموت والحياة من أعمق التجارب التي رسخت الحداثة على مستوى الابداع عند الشعراء المحدثين لنقل مختلف ظواهر الإخفاق والانكسار التي يتخبط فيها العالم العربي على أمل فتح باب الدعوة لحياة أكثر عزة وحفظا للكرامة.

كما يتخذ المجاطي من الاحساس بالغربة رمزا لضياع الذي يعيشه داخل عالم تلاشت فيها ركائز الوحدة خصوصا بعد نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨؛ حيث جاء العنوان شاملا لمجموع الأحاسيس التي تنتاب العربي فلفظ "النكبة" مع تحديد زمانها ومكانها هو غصة شاهدة على غربة وألم المتلقي، حيث غربة الكون والمدينة وغربة الحب والانتماء والغربة حتى في الحروف التي ألحقها المجاطي مؤخرا بديوانه؛ وهي الغربة التي تفتح مجالا واسعا لثنائية الموت والحياة التي تنتهي عند الشاعر بالمقاومة لأنه يرفض الاستسلام والموت المجاني.

تحضر الخمرة إلى جانب الموت كرمز لإلهام الشاعر في ترحاله عن الواقع حيث يغيب العقل ويفتح المجال للأحلام والحرية والانطلاق إلى عالم أخر، حيث الخمر بديلا لموضوع السكر الصوفي فللخمرة نفس الأثر في الارتقاء عن العالم المحيط " «بسبب تشابه كل من آثارها وآثار السكر الصوفي التي يمكن أن نتبينها في غياب التوازن وحسارة رقابة العقل، وحضور الرعونة والتهتك والشطح». (عودة، ٢٠٠١م، تجليات الشعر الصوفي: قراءة في الأحوال والمقامات ص:٣٣٧، لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر) استدعى المجاطي لفظ الخمر في أكثر من موضع بتصريح مباشر للفظ؛ بينما أورده في أسطر شعرية بألفاظ أخرى (النبيذ/ الجعة/ الكأس) (المجاطي، ديوان الفروسية ص:٤٦)؛ والتنوع في لفظ الخمرة إنما ناتج عن سيطرة الغياب والموت على جل الأماكن والشخوص خصوصا وعودة الغائبين وما حملت من يأس وذل لا يمحوه سوى الغياب عن الواقع والارتماء في أحضان الخمر؛ امتزجت قصائد المجاطي امتزاجا كاملا ببنية نصوص التراث

فنا ومعمارا ليضح أقرب ما يكون إلى البناء العفوي الذي نمت من خلاله القصيدة؛ واستطاع بقدراته الإبداعية وإمكاناته الفنية تكييف تلك النصوص والاشارات والتلميحات والمعطيات دون تقييد بسياقاتها وورودها في متون نصوصها الأصلية.

رام المجاطي من وراء استعمال التناص تحقيق غايات دلالية توعوية واغناء القول بمكون استشهادي عميق الصلة بمغزى النص وتأملاته؛ حتى لا تبدو نشازا أو حشو؛ كما لجأ المجاطي في تناصه لتوظيف الألفاظ توظيفا تارة بطريقة مباشرة وتارة أخرى غير مباشرة؛ فالتناص تقنية فنية تهدف إلى الرقي بالنص إلى أعلى مستويات الأدائية وأساليبه التعبيرية من خلال إضفاء الصفة الموضوعية وكسب الحاضر شرعية الوجود.

ختاما:

يظل التناص الداعم القوي والمحقق الفعلي لحضور النص وتفاعل القارئ معه، حيث يحضر التناص في النصوص حسب حاجة النص لدعم فكرة أو نفيها؛ مما يجعل النص شعرا كان أو نثرا قابلا للانفتاح على مجموعة من النصوص المختلفة عن طبيعة النص الأصل وقادرة على الانسجام معه ليكشفها المتلقي ويجد ذاته داخل تفصيلة من تفاصيل هذا المزج سواء كان اقتباسا أو تضمينا أو غيرها من الظواهر المحققة للتناص لتساهم في كشف مغاليق النص وتصاحبه في رحلة اكتساب الحضور والهوية الثقافية والنوعية.

النتائج والتوصيات:

النتائج:

-تبين وفرة الدراسات والبحوث التي أنجزت في التناص أهميته في فهم الموضوعات وتحليل أبعادها.

-التناص وسيلة مهمة في تقريب المعاني التي يرمي الكاتب افهامها للمتلقي وكشف حقيقة النص.

-يعد التناص الداعم الحقيقي للنصوص إذا يعمل على إثراء الموضوعات وتزكيتها.

-التناص من الآليات التحليلية التي يستعان بها في كل المجالات الفكرية والابداعية واللغوية والأدبية والعلمية.

-تتعدد المنابع التي ينهل من التناص حسب حاجة الكاتب وأيضا حسب ما يتطلبه الموضوع من نصوص موازية للفكرة التي يدافع عنها.

-يعد القرآن الكريم والشعر من أهم المصادر التي يلجأ اليها الكاتب في التناص؛ حيث تتماشى مع أغلب الموضوعات ولعلها الداعم الأول والمدافع القوي عن فكرة صاحب النص لأن حجة القرآن الكريم والأشعار من أقوى الحجج والبراهين التي يمكن الاستدلال بها.

وقد خلصنا الى جملة توصيات نجملها في:

-أن نشجع الباحثون على استخدام آليات التناص لأنها أبلغ في التأثير وأدعى للترغيب والترهيب.

- أن تُخصص البحوث لدراسة أساليب التناص في النصوص للإثبات القضية ودفاع عنها.

-أن يقوم الباحثون بدراسة أساليب التناص لتزكية الأفكار والموضوعات.

-تخصيص دراسات في آليات التناص وموضوعاته وخصوصياته وأهدافه.

المراجع والمصادر:

– أحمد الزغبي/ التناص نظريا وتطبيقيا، عمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط ٢، ٢٠٠٠م.

– أحمد المجاطي/ ديوان الفروسية، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، مكتبة الأدب المغربي، سلسلة الإبداع ٢.

– أحمد بن محمد النيسابوري (الميداني)/ مجمع الأمثال، مؤسسة الطبع والنشر للآستانة، ج١ب ط، ١٣٠٠م.

– أمين يوسف عودة/ تجليات الشعر الصوفي: قراءة في الأحوال والمقامات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠١م.

– بن الرشيق / العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، ب ط.

– جوليا كريستفيا/ علم النص: تح فريد الزاهي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠١٠م.

– حسن لشكر/ النسق الشعري في ديوان الفروسية، مجلة المشكاة، وجدة، ع ٢٤، ١٩٩٦م.

– سعيد يقطين/ الرواية والتراث السردي، من أجل وعي جديد بالتراث، دار المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٢م.

– سعيد يقطين/ انفتاح النص الروائي النص والسياق، المركز الثقافي العربي للنشر، المغرب، ط ٢، ٢٠١٠م.

– محمد بازّي/ تقابلات النص وبلاغة الخطاب: نحو تأويل تقابلي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠١٠م.

– محمد الطاهر ابن عاشور/ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ب ط، ١٩٨٤م، ج ٣٠.

– محمد مفتاح/ تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت ط ٢، ١٩٨٦م.

– محمد مفتاح/ دينامية النص، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت ط ٢، ١٩٩٠م.